الرِّحلةُ الأخيرَة

مشاهد من هول البعث، وأحوال السعداء والأشقياء يوم القيامة

د. جمال بن فضل الحوشبي




الرحلة الأخيرة



مجموعة تكوين المتحدة
للطباعة والنشر و التوزيع

جدة - حي مشرفة - شارع التضامن العربي
info@tkween.net.sa
tkween.net.sa
00966557772038







الرَّحْلَةُ الأَخِيرَة

مشاهد من هول البعث، وأحوال السعداء والأشقياء يوم القيامة



الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقدمة

الحمد لله على جميل صفاته، والشكر له على آلائه وهباته، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث بالدين القويم، والكتاب المبين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنّ العجب كل العجب من مسافر يشتد حرصه على السؤال عن رحلته القصيرة: موعدها، وتذكرتها، وعدد ركابها، ويسأل عن جهة الوصول: لغتها، وسكانها وتضاريسها، ودرجة حرارتها، ويخطّط لتلك الرحلة، فيعدّ لها نفقاتها، وينظم تنقلاتها، ثم تجده في المقابل غافلاً عن رحلته الطويلة، وجاهلاً بوجهته الأخيرة، رغم ما يحفّ بها من الأخطار، ويكتنفها من الشدائد والأهوال.

إنها الرحلة إلى الدار الآخرة، التي تُبدّل فيها: ﴿ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾، وتُجزى ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾، وتجتمع الخلائق كلها، ويُحشر العباد من قبورهم حفاة عراة غرلاً كيوم ولدتهم أمهاتهم، وفيه تخرُس الألسُن فلا تسمع إلا همساً، ويشتد غضب الرب سبحانه حتى يهاب الأنبياء والمرسلون الكلام بين يديه.

يوم يقوم الناس بإذن ربهم لفصل القضاء، والمجازاة على الأعمال، فيجتمع المتقون والفجار، والعصاة والأبرار، ويظهر الفرق جلياً بين السعداء الأشقياء، ويتمايز المسلمون والمجرمون، والعصاة والصالحون، على أحوال ومواقف لا حصر لها.

والحديث عن هذه الرحلة الأخيرة القادمة يشمل الأمرين معاً: الأهوال والأحوال. ولأنّ شدائد يوم القيامة تأخذ بمجامع القلوب والعقول فإنّ قليلاً ممن يتحدث عن الدار الآخرة ينتقل من الحديث عن أهوالها إلى أحوال الخلائق فيها، مع أنه ظاهر متكرر في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ.

وما أحوجنا للحديث عن الأمرين معاً في عصر أجلب فيه الشيطان بخيله ورَجِلِه، وأوقع أكثر بني آدم في فخّه، وسقاهم من كأس سكرته، وأبعدهم عن صراط ربهم بالأماني الكاذبة، واللذات الزائفة، ونمط الحياة المادية التي لم يعد الغيب يؤثّر فيها، ولا مكان للآخرة في رؤيتها ورسالتها وقيمها.

ومن نظر في كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وجد أكثره تحذيراً من الركون للدنيا، وحديثاً عن أهوال القيامة، وأحوال الخلائق فيها، من لحظة البعث إلى أن تُنشر الدواوين، وتتطاير الصحف، وتُنصب الموازين.

وهذا الكتاب متمّم لكتاب (أحقاً هذه الجنة) الذي يسّر الله تعالى طبعه ونشره، وفيه حديث عن الأهوال والأحوال والأعمال معاً:

أهـوال البعـث والقيامـة، وأحـوال السـعداء والأشـقياء فيهـا، مقرونـة بأعمالهم التي خلت في دار الدنيا. رتّبته في أربع محطات لا غنى لأحد من ركاب هذه الرحلة عنها، ولا يُعذر بجهلها:

الأولى: محطة الإيمان، وتتناول التعريف باليوم الآخر، ومقتضيات الإيمان به

الثانية: محطة الأهوال، وهي مخصصة لبيان أهوال يوم القيامة، ومنازله، والأعمال التي تقع فيه.

الثالثة: محطة الأحوال، وفيها عرض مشاهد من أحوال السعداء، والأشقياء يوم القيامة.

الرابعة: محطة الأعمال، وتسرد جملة من الأعمال التي اقترنت بها سعادة المتقين، وشقاوة المجرمين يوم القيامة.

وقد حرصت أن يكون الكتاب سهل التناول، موجز العبارة، موجهـاً لعرض القصص والعبر، والنماذج والصور. ورجوت من تأليفه: إيقاظ النفوس للاستعداد ليوم المعاد، والتذكير بأهواله وأحواله، والترغيب في دار النعيم، والترهيب من دار الجحيم، وشحذ الهمم إلى اللحاق بالسعداء، والحذر من مآل الأشقياء، والتحفيز للتوبة قبل الفوات، بما تتضمنه من إقلاع عما سلف من المنكرات، وندم على التفريط في الأيام الخاليات، وعزم على الصالحات حتى الممات.

اللهم احشرنا في زمرة السعداء المتقين، وأورثنا جنّة النعيم، واجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم، وذُخراً من صالح العمل تدخّره لعبدك

الفقير ووالديه وذريته بعد انقطاع الأجل، إنّك أكرم مسئول، وأعظم مأمول، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

تمّ الفراغ من تبويبه في المسجد النبوي، ضحى يوم الجمعة المتمم لشهر محرم ١٤٣٩هـ، وأعيد تهذيبه في الرابع عشر من رمضان ١٤٤٣هـ بمكة البلد الحرام.

p p p

المحطة الأولى:

الإيمان

التعريف باليوم الآخر، ومقتضيات الإيمان به

الإيمان

اليوم الآخر هو اليوم الذي لا يوم بعده، فيه يقوم الناس لرب العالمين، ويُقضى بين الخلائق أجمعين، ويصدر منه أهل السعادة إلى جنّات النعيم، وأهل الشقاوة إلى دركات الجحيم. ورد ذِكره ستاً وعشرين مرة في القرآن الكريم، مقترنة بالإيمان بالله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: ٢١]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[العنكبوت: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾[التوبة: ١٨].

أولاً- الإيمان باليوم الآخر.

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، ويتضمّن الإيمان به: الاعتقاد الجازم بكل ما أخبر اللهُ تعالى عنه ورسولُه ﷺ مما يكون بعد الموت؛ من فتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، وسؤال الميت بعد دفنه. كما يتضمّن: التصديق الجازم بالبعث، وهو: إحياء الموتى بعد النفخة الثانية في الصور، وقيام الناس لرب العالمين؛ حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غُرلاً غير مختتنين، يحاسبهم ربّهم على أعمالهم، ويجازيهم بما كسبت أيديهم، فمن ﴿جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. والإيمان باليوم الآخر يتضمن كذلك ما يكون

على عرصات القيامة بعد البعث من: الأهوال، والأحوال، والمآل، حتى يصير الناس إلى الجنة أو النّار؛ مصداقاً لقول الحق جلّ شأنه: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٤]، وقوله سبحانه مبيناً أهوال ذلك اليوم وأحوال الناس فيه ومآلهم: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[الزمر: ٦٨ - ٧٤].

ثانياً - أسماء اليوم الآخر:

كثرة الأسماء دليل على شرف المسمّى، واليوم الآخر يوم عظيم القدر، تقرب أسماؤه من ثمانين اسماً[1]، تتنوع معانيها ودلالاتها.

---

(١) ذكره بن حجر وأشار إلى أنّ الغزالي جمع أسماء القيامة ثم تبعه القرطبي، عليهم جميعاً رحمة الله. (فتح الباري لابن حجر، ١١/ ٣٩٦).

وأشهر أسمائه وأظهرها: **(يوم القيامة)**، سمّي بذلك لقيام الناس فيه لرب العالمين، ولما يقوم فيها من الأمور العظام. وقد ورد هذا الاسم في سبعين آية، وإليه تضاف سائر الأسماء، فيقال: الحاقّة من أسماء يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾[النساء: ٨٧]. وقال سبحانه: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[القيامة: ١]. ومن أسماء القيامة: **(القارعة)**؛ سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها، ولأنّ الله تعالى يقرع فيها أعداءه بالعذاب، قال الله عزّ وجل: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ١ – ٥].

وسمي ذلك اليوم **(بالدار الآخرة)**، لأنّه لا دار بعدها، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وسمي كذلك **(الآخرة)**، قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[البقرة: ١٣٠]. وفي ذلك اليوم يفصل الله تعالى بين عباده فيما كانوا فيه يختصمون، ويوقفهم موقفًا عظيمًا، وينبئهم بما عملوا، فيرفع أقوامًا ويخفض آخرين، ولهذا سُمّي **(يوم الفصل)**، قال الله سبحانه: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[الصافات: ٢١].

وسُمّي يوم القيامة **(يوم الحساب)** لأن الناس يجتمعون فيه لفصل القضاء والحساب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾[ص: ٢٦]. ومن أسمائه: **(الساعة)**، لأنّها تأتي بغتة، وتذهل الناس في ساعة واحدة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾[الحجر: ٨٥]. وهي **(الطامة الكبرى)**؛ لأنها تطمّ العباد بكل

أمر هائل فظيع. قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾[النازعات: ٤٣ - ٤٤].

ومن أسماء القيامة: (**يوم الحسرة**)؛ سمي بذلك لشدّه تحسّر العباد فيه، المؤمنون إذ لم يكونوا استكثروا من الطاعات والمجرمون بسبب ما اقترفوا من السيئات، قال الله سبحانه: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[مريم: ٣٩]. ومن أسماء ذلك اليوم: (**يوم الدِّين**)، والدِّينُ هو الجزاء؛ لأن الله تعالى يجزي فيه العباد ويحاسبهم. قال سبحانه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة: ٤].

ومن أسمائها (**يوم البعث**)؛ لأن فيها بعثُ الموتى من قبورهم ونشرهم لحسابهم. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾[الحج: ٥]. وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[الروم: ٥٦]. وهي (**الصاخّة**)؛ لأنّ الصيحة فيها مُسمِعة لجميع الخلائق، تصخّ أسماعهم عن أمور الدنيا. قال الله جل جلاله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[عبس: ٣٣ - ٣٧]. وهي (**الغاشية**) لأنها تغشى الناس وتعمّهم بأفزاعها. قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾[الغاشية: ١ - ٤].

وذلك اليوم هو (**يوم الخروج**)، الذي يُنفخ فيه بالصور فيخرج العباد من قبورهم. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]. ولأن الناس يصيرون في ذلك اليوم إلى دار الخلد، إما إلى الجنة

وإما إلى النار كان من أسمائها (**يوم الخلود**). قال الله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾[ق: ٣٤]. ولأنّها محقَّقةٌ وكائنةٌ لا شكّ فيها سُمِّيت (**بالواقعة**). قال الله سبحانه: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ٢ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ﴾[الواقعة: ١ – ٣].

وهي (**الآزفة**)؛ لاقتراب موعدها وتحقّق قيامها. قال الله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ٥٧ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾[النجم:٥٧ –٥٨]. ومن أسمائها: (**يوم الجمع**)؛ لأن الله تعالى يجمع فيها الخلائق كلهم. قال سبحانه: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾[الشورى: ٧].

ولأنّها حقّ لا شك فيها، والوعد والوعيد يتحقق فيها، ويحقّ لكل عامل عمله.. لقوم الجنة ولقوم النار فإنّ من أسمائها: (**الحاقة**). قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾[الحاقة: ١ – ٣]. ولأنها تأتي بغتة في ساعة محدّدة لا تتقدم ولا تتأخّر سُمّيت (**الساعة**)[1]. قال تعالى:

(١) قال القرطبي: الساعة؛ كلمة يعبّر بها في العربية عن جزء من الزمان غير محدود، وفي العرف على جزء من أربعة وعشرين جزءاً من يوم وليلة، والّذين هما أصل الأزمنة. وحقيقة الإطلاق فيها أن الساعة بالألف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه، وهو المسمّى بالآن، وسمّيت به القيامة إما لقربها؛ فإن كل آت قريب، وإما أن تكون سميت بها تنبيها على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود وتكسر العظام. وقيل: إنما سميت بالساعة لأنها تأتي بغتة في ساعة. (التذكرة، ١/ ٢٤٩).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾[الحج: ١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ﴾[الروم: ٥٥]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ﴾[الروم: ١٤].

وسمي يوم القيامة (**يوم الوعيد**)؛ لأنه اليوم الذي أوعد الله تعالى عباده، وتهددهم به، قال جلّ شأنه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾[ق: ٢٠]. ولما يحدث في هذا اليوم من تلاقي أهل السماء وأهل الأرض، والتقاء الخالق وخلقه؛ سمّي (**يوم التلاق**). قال الله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[غافر: ١٥-١٦]. ويوم القيامة (**يومُ التناد**)؛ لكثرة ما يحصل فيه من النداء على الخلائق.. أُممـاً وأفراداً. قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾[غافر: ٣٢ - ٣٣]. وهو (**يومُ التغابن**)؛ لأنّ السعداء والأشقياء يشعرون فيه بالغَبن؛ يندم هؤلاء فيه على قلّة العمل، والتقصير في الطاعات، وعدم الاستكثار من الصالحات، ويندم أولئك على ما فرّطوا في جنب الله تعالى، واقترفوا من السيئات، وودوا لو كانوا مؤمنين. قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾[التغابن: ٩].

ومعظم أسماء يوم القيامة وردت في القرآن والسنة بألفاظها، ولو أُخذت أسماؤها بطريق الاشتقاق لزاد عددها فوق الثمانين. ومما يُشتق من أسماء يوم القيامة منصوصـاً عليه في كتاب الله تعالى: (**يوم الصِّدر**)، مأخوذ

من قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾[الزلزلة: ٦]. (ويـوم البُـرُوز)، لقولـه تعـالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[غافر: ١٦]، أي: ظـاهرون بـارزون لا يسـترهم سـاتر، ولا يخفى على الله منهم شيء. (ويوم الجدال)، من قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١].

ومن ذلـك تسـمية يـوم القيامـة بيـوم المـآب، واليـوم المشـهود، واليـوم العبوس القمطرير، واليوم العظيم، ويوم الفزع الأكبر، واليوم العسير، ويـوم تبلى السرائر، ويوم لا تملك نفس لنفس شيئـًا، ويوم يُدعّون إلى نار جهـنم، ويوم لا بيع فيه ولا خلال، ويـوم تشـخص الأبصـار، ويـوم لا ينفـع مـال ولا بنون، ويوم لا مرد له من الله، واليوم الذي لا ريب فيه.

ثالثاً - منازل السّير إلى اليوم الآخر!

خلق الله تعالى الإنسان من ماهية فريـدة، تختلـف عـن ماهيـة الملائكـة والجانّ، فمن طينة الأرض ونفخة الروح تشكّل آدم عليه الصـلاة والسـلام؛ فإذا هو بشر سويّ. ولإظهار فضله أسجد له ربّه ملائكتـه، وعلّمـه الأسـماء كلّهـا، وأدخلـه الجنّـة، فلمّـا عصـى ربّـه فيهـا أُهـبط وزوجـه إلـى الأرض، ومعهما الشيطان الـذي أغواهمـا. وأخبر الله تعـالى آدمَ أنّ بقـاءه وزوجـه في الأرض لمدّة معلومة، يعودان بعدها إلى دارهما الأولى، ومعهما من صـلح من ذريتهما. وفي الأرض جرى الاختبـار الكبيـر لبنـي آدم، واحتـدم الصـراع بينهم وبين الشيطان.

وكما خلق الله تعالى آدم من طين فقد جعل نسله بعده متسلسلا من نطفة أمشاج مهينة، تستقرّ في مستودعها المكين. وأخرج من أصلاب نسله ذريتهم.. يتوالدون جيلاً فجيلاً، كلّما أخرجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم قرّرهم بأنّه خالقهم ومليكهم، وأخذ منهم الميثاق بما أودعه في فطرهم أن يوحّدوه ويعبدوه[1]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾[الأعراف: ١٧٢]. وإقرارهم هذا عامّ لجميعهم؛ بما أودعه سبحانه في فطرهم وهم في أصلاب آبائهم. فإذا جُمع خلق أحدهم في بطن أمه، بعث الله تعالى إليه ملكًا موكلاً به، وأمره بكتابة أربع كلمات، يقول له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقيّ أو سعيد. فإذا نُفخ في ابن آدم الروح، وهو في الظلمات الثلاث، بدأ رحلة الكدح الطّويلة الشاقّة.

١- الانتقال إلى دار الدّنيا.

ومع خروج ولد آدم إلى الوجود، تتجلّى به رحمة ربّه؛ حيث يخرجه طاهراً نقيًا، مبرّأً من الذنب والخطيئة، سالمًا من العقائد الفاسدة، مفطوراً على التوحيد، ثمّ لا يزال به ربّه.. يُمدّه بالقوى الظاهرة والباطنة التي تعينه على بقاء هذه الفطرة، ويكمّله بمكتسبات المعرفة، ويتمّها له طوراً فطوراً، حتى يتمكّن من تحصيل مقاصد السّير الطويل إلى ربّه، والثبات على الصراط الذي يؤول به إلى داره الأولى.. الجنّة. وربّه في جميع الأطوار

(١) انظر تأويل الآية في: تفسير السعدي، (ج١/ ص٣٠٨).

يحفظه ويرعاه، ويهديه السبيل، ولا يتركه لعدوّه.. يرسل إليه الرسل بالآيات البينات، والكتب الواضحات، ويبشّره ويحبّب إليه الطاعة ويرغبه فيها، ويحذّره من سبل الشرك والمعصية وطرق الضلال التي تؤول به إلى دار البوار، فإذا بلغ سنّ التكليف وجرى عليه القلم اتّضح مسيره، وتحدّد بحسب العمل مصيره.

٢- عداوة الشّيطان.

ما من عداوة أشدّ على ذريّة آدم من عداوة الشّيطان؛ فهو لا يزال حيّـًا بينهم، وسيظلّ إلى قيام السّاعة، ومهمّته لا تتجاوز إضلالهم عن صراط الله المستقيم، ودعوة من استطاع منهم إلى سواء الجحيم. والمعركة مع الشّيطان هي المعركة الحقيقية لكنه استطاع تحويلهالتصبح حربـًا بشرية بعد عشرة قرون من نزول آدم، وكانت من قبل بشرية شيطانية. وهي أطول وأشقّ مواجهة يخوضها البشر على الإطلاق؛ حيث بدأت فصولها منذ اليوم الأول لخلق أبيهم آدم، ولم تهدأ ساعة من الدّهر، كما لم تنحرف عن غايتها الواضحة التي جلّاها الله لهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦].

والأنفس البشرية الضعيفة سريعـًا ما تركن إلى الدّنيا، وتقع في شِراك الشيطان، ولكلٍ سبيلُه الذي يغويه؛ فمنهم من تدركه الغواية بسبب الشّرك، ومنهم من يضلّ بسبب المال، تحصيلاً أو إنفاقـًا، ومنهم من يقع في شباك الشهوة، ونحو ذلك.

وكلّما التقط آدميّ الطّعم الشيطانيّ الذي يناسب حاله ازداد انحرافه عن صراط ربّه، وأعرض عن ذكره، ثمّ لا يزال ينقطع عن معالم الهداية،

حتى يغيب في ظلمات الضلالة؛ فأشقاهم من تأتيه منيّته وهو كذلك، وأسعدهم الأوّابون الذين تدركهم رحمة ربّهم، ويُقذف في قلوبهم نور الإيمان ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾، يتلمّسون الدليل الهادي الذي يبصّرهم أنوار الطريق، ويوقظهم من سكرة الغافلين، بصوت الترغيب تارة، وبسوط الترهيب تارات. فإذا زكت البصيرة بنور الإيمان صحّت المعرفة وصلحت الإرادة، واستقام السلوك، وأخذ القلب يغذّ السّير إلى منازل الأبرار، حيث الفرحة الكبرى، فإذا لاحت أمامه تلقته الملائكة الكرام مهنئين، يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

فحيَّ على جنّات عدن فإنّها ... منازلك الأولى وفيها المخيَّمُ
ولكنّنا سبي العدوّ فهل تُرى ... نعود إلى أوطاننا ونُسَلَّمُ

والسعيد في كدحه إلى ربّه يتقلّب بين المنازل الثلاث: الدّنيا، والبرزخ، والآخرة، والدّنيا أقصر هذه المراحل عمراً، وأكثرهنّ اضطراباً، وأعظمهنّ أثراً في مستقبل الخلود القادم، وفيها تكون التكاليف، ويحصل التجاذب بين نوازع الرّوح والجسد، ترفعه هذه لتسمو به إلى الفضائل العلوية والقيم، وتثقله تلك بمطالب الجسد الأرضية، والشهوات واللذّات. وربّه في الحالين أعلم به، وأنصح له، وأخبرُ بمصيره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[الانشقاق: ٦]. فإذا مات ابن آدم قامت قيامته، وانقطعت عن الدنيا صِلته، وظهرت له نتائج عمله.

٣ - (القبر أوّل منازل الآخرة)[١].

فإذا استوفى ابن آدم رزقه وأجله توفّته ملائكة الرّحمة إن كان مؤمنا تقيّـًا، أو ملائكة العذاب إن كان جاحداً شقيّـًا، وبُشّر بمصيره عند نزع روحه. والموت حالة تنفصل فيها الرّوح عن الجسد من كلّ وجه: هذا يذوي في التراب ليصبح رميمـًا، وتلك تحلّق في النّعيم، أو تعذّب في الجحيم. وبالموت ينتقل ابن آدم عن الدّنيا انتقالاً نهائيـًا لا رجعة فيه، وتزول متعلّقاته فيها، وينقطع عنه كلّ شيء سوى ما خلّف من كسب صالح، ثمّ لا يجتمع شمله بالمقرّبين له، من المتّقين أو الفجار، إلا في الجنّة أو النّار. قال ﷺ: (إذا حضرتم الميت فغمّضوا البصر؛ فإنّ البصر يتبع الروح، وقولوا خيراً؛ فإنّ الملائكة تؤمّن على دعاء أهل البيت)[٢]. وقال ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له)[٣].

---

(١) جزء من حديث رواه هانئ مولى عثمان بن عفان ، قال: كان عثمان بن عفان إذا وقف على قبر بكى حتى يبلّ لحيته، فيقال له: قد تذكر الجنة والنّار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فيقول: إنّ رسول الله ﷺ قال: (إنّ القبر أوّل منازل الآخرة؛ فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ منه) (أخرجه الحاكم في المستدرك، ج١/ ص٥٢٦).

(٢) أخرجه الحاكم، (ج١/ ص٥٠٣)، من حديث شداد بن أوس، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه الترمذي، (ج٣/ ص٦٦٠) من حديث أبي هريرة، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وبالموت يذبُل الجسد ويودع التراب، وتجوزُ الرّوح إلى عالم جديد يسمّى البرزخ.. وهو أوّل عوالم الآخرة، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾[الأنعام: ٦١ - ٦٣].

والبرزخ عالم الأرواح لا الأجساد! ومع أوّل ليلة في القبر تتجلّى للرّوح الآدميّة حقائقُ الأهوال الجديدة التي كانت محجوبة عن المُدركات في الحياة الدنيا. أمّا الجسد فلا يلبث طويلاً حتى يزول وتبلى محاسنه، وتزول معالمه[1]، ولا يبقى منه إلا عُجب الذنب الذي لا يفنى بعد الخلق الأوّل، ومنه تبدأ الحياة الأخرى يوم القيامة! قال الله جلّ شأنه: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾[طه: ٥٥]. والرّوح، كذلك، إذا نُفِخت أول مرة لا تموت أبداً؛ لأنّها مخلوقة للبقاء، بخلاف الجسد[2].

---

(١) عدا أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال ﷺ: (إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)، (أخرجه النسائي، ج١/ ص٥١٩).

(٢) لله تعالى مخلوقات لا تبيد، أوجدها سبحانه للبقاء، ولا يلحقها الفناء، وقد نظمها الإمام السيوطي رحمه اللّه بقوله:

ثمانيــة حُكــم البقـــاء يعمّهـــا ... من الخلق، والباقون في حيّز العدم

هـي العرش والكرسيّ، نـارٌ وجنة ... وعُجبٌ وأرواحٌ كذا اللوح والقلم

وزاد عليها بن القيم في نونيته: الحور العين. ويضاف لها كذلك: الولدان؛ فإنهم مخلوقون للبقاء ايضـاً.

وأرواح العباد بحسب ما غلب على حال أصحابها في الدّنيا؛ فإذا كانت حالاً إيمانية عليّة؛ ارتفعت للتنعّم في مستقرّ الخلود، وإذا كانت حالاً شهوانية دنيئة، لم تُفتّح لها أبواب السّماء، بل يُقْذف بها في دركات الأرض، وتعذّب إلى يوم النّشور[1]. عن كعب الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنّما نسمة المؤمن طائرٌ يعْلُقُ في شجر الجنة، حتى يرجع إلى جسده يوم يبعث)[2]. ثم تجري على الرّوح في مستقرّها ذاك أحوالاً لا يعلمها إلا الله سبحانه، عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: (إذا قُبضت نفس المؤمن تلقّاه أهل الرّحمة من عباد الله كما تلقّون البشير في الدنيا، فيُقبلون عليه ليسألوه، فيقول بعضهم لبعض: أنظروا صاحبكم يستريح؛ فإنّه قد كان في كرب شديد، فيقبلون عليه؛ فيسألونه ماذا فعل فلان؟ وما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله قال لهم: قد مات ذاك قبلي، فيقولون إنا لله وإنا إليه راجعون، ذُهب به إلى أمّه الهاوية.. وإنّ أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة؛ فإن كان خيرا فرحوا واستبشروا، وقالوا: اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتمم نعمتك عليه، وأمته عليها، ويعرض عليهم عمل المسيء فيقولون: اللهم ألهمه عملاً صالحًا ترضي به عنه وتقربه إليك)[3]. قال الله

---

(١) تأمّل أحوال هذه المرحلة في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن الْبَرَاءِ، (ج٤/ ص٢٨٧)

(٢) أخرجه ابن ماجه، (ج٢/ ص١٤٢٨) والنسائي، (ج١/ ص٦٦٥).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ج٤/ ص١٢٩) ورجّح الألباني رفعه يقينًا، (السلسلة الصحيحة ٢٧٥٨).

تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[الأعـراف: ٤٠]. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا رأى (المؤمن) ما فُسح له في قبره يقول: دعوني أبشّر أهلي، فيُقال له: أسكن)[(١)].

رابعاً - تذكّر الآخرة:

تذكّر الآخرة أصل الزهد وحقيقة التقوى، والخوف من عذابها والطمع في نعيمها باعث كل فضيلة، ورادع عن كل ظلم. وبهذا التذكّر تستقيم حياة الأفراد ويصلح تعاملهم، وتزداد رغبتهم في الطاعات، ورهبتهم من السيئات، وبه يتسلّى المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من النعيم في ذلك اليوم العظيم، ويترقّب المحروم والمظلوم ما سيكون فيه من نصب الموازين وردّ الحقوق، والقصاص من الظالمين والمجرمين.

والغفلة عن تذكّر الآخرة باعث كلّ خطيئة، وبريد كل حسرة، وبسببها ظهر الظلم والجهل، وضُيّعت الحقوق، وانتهكت المحارم، ولأجلها حصل التهاون بالفرائض، والزهد في الطاعات، وانتُهكت المحرّمات، وبها عدا الظالم على المظلوم فقتله أو أخذ ماله، وبسببها قامت سوق التنافس على الدنيا، والتواصي بجمع حطامها، والانشغال بمباهجها، والانغماس في زينتها ولذّاتها المحرّمة، حتى صار العلم المطلوب بينهم: علم الدنيا المجرّد عن الآخرة، وحتى ساد في قطعان البشر نمطُ الحياة الاجتماعي الذي حذَّر منه رسول الله ﷺ بقوله: «إنّ الله يُبغض كلّ جَعظري جوّاظ، سخّابٍ في

(١) أخرجه الإمام أحمد (ج٣/ ص٣٣١) وهو حديث صحيح.

الأسواق، جيفةٍ بالليل، حمارٍ بالنهار، عالم بالدنيا، جاهلٍ بالآخرة»[1]. وهذا الوصف النبوي بليغ لمن تأمله، حيث قرن الشرور وانتهاك المحرمات بالإعراض عن الآخرة والاشتغال بالدنيا، وهذا ما أكّد عليه القرآن الكريم الذي يقرن الغفلة عن الآخرة بالإعراض والجحود في الدنيا، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[الأنبياء: ١]، كما يقرن هذه الغفلة بالحسرة والندامة يوم القيامة. قال الله سبحانه: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[مريم: ٣٩].

من أحوال الذاكرين:

كم شغل ذِكرُ القيامة قلوبَ الصالحين، وأقظّت أهواله مضاجعهم، وصلحت بسببه أعمالهم، فلزموا التوبة والاستغفار، وأحسنوا في طلب الدنيا والآخرة، وتنافسوا في طلب الجنّة والحذر من النار. وأخبارهم في ذلك زكيّة نديّة: أشهر من أن تُذكر، وأكثر من أن تُسطّر.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبريل فقال: «يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيّ به، واعلم أنّ شرف المؤمن قيامُه بالليل، وعزّه استغناؤه عن الناس»[2]. وكان ﷺ يقول: «أكثروا من ذكر هادم اللذات»[3]، يعني الموت.

١() أخرجه البيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح١٨٧٨).

٢() أخرجه الحاكم والبيهقي، وصححه الألباني (الصحيحة ح٨٣١).

(٣) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة، وصححه الألباني، (٤/ ٥٥٣).

وحال رسول الله ﷺ يصدّق مقاله فعن مطرف عن أبيه رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلّي وفي صدره أزيزٌ كأزيز المِرجَل. يعني من البكاء[1]. وهكذا كان حال أصحابه رضي الله عنهم، قال أنس رضي الله عنه: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعتُ مثلها قط، قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً»، قال: فغطّى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين[2].

وكان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبرٍ بكى حتى يبلّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذاً؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ القبر أوّل منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ منه». قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظراً قطّ إلا القبر أفظع منه»[3].

وحين نزل الموتُ بمعاذ بن جبل رضي الله عنه قال: مرحبا بالموت، زائر مغيّب، وحبيب جاء على فاقة، اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنّي لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حِلَق الذِّكر[4].

---

(١) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني (صحيح الترغيب والترهيب (ح٥٤٤).

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه أحمد، وحسنه الألباني في جامع الترمذي، (٤/ ٥٥٣).

(٤ (أخرجه الأصبهاني في حلية الأولياء، (٦/ ٣٨٧).

ولما قيل لعبد الله بن عمر: توفّي فلان وترك مئة ألف، قال: لكن هي لم تتركه. وكيف تتركه وهنالك كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها[1]. وكان سفيان الثوري إذا ذكر الموت لا يُنتفع به أيامًا؛ فإذا سُئل عن الشيء قال: لا أدري، لا أدرى[2]. ولما حضرت محمد بن سيرين الوفاة بكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: أبكي لتفريطي في الأيام الخالية، وقلّة عملي للجنة العالية، وما ينجيني من النار الحامية[3].

p p p

١() حلية الأولياء، (١/ ٣٠٦).

٢() الزهد للإمام أحمد، (١/ ٣٢٨)، وحلية الأولياء، (١/ ٢٣٩).

(٣) العاقبة في ذكر الموت، عبد الحق الإشبيلي، (ص١٣١).

المحطة الثانية:

الأهوال

أهوال يوم القيامة، ومنازله،

والأعمال التي تقع فيه

الأهوال

إذا انقضت آخر علامات الساعة الكبرى، وقضى الله تعالى الأمرَ أذِن سبحانه بقيام الساعة، وفناء الأرض بمَن عليها، وحَشر الناس إلى عرصات يوم طويل أخبر الله سبحانه بأنّ مدة الوقوف فيه خمسين ألف سنة، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. أي: تعرج الملائكة الكرام وجبريل عليه السلام، في يوم قدره خمسين ألف سنة، يفرغ الله تعالى فيه من القضاء بين خلقه. عن عكرِمة قال: في يوم واحد، يفرغ في ذلك اليوم من القضاء كقدر خمسين ألف سنة[1]. وهذا التقدير لطول يوم القيامة عائد لحساب أيام البشر، وما عهدوه في توقيتهم، وإلا فهو يوم آخر ليس من جنس أيامهم المعهودة، بل يوازي خمسين ألف سنة بالزمان المعتاد عندهم.

وأهوال يوم القيامة مقترنة بأعماله العظيمة التي يتنقّل فيها الخلائق من لحظة قيامهم لرب العالمين إلى استقرارهم في دار النعيم أو دار الجحيم.

---

(١) تفسير الطبري، (٢٣/ ٦٠١). وذكر رحمه الله قولاً آخر في تأويل الآية، وهو أن مقدار صعود الملائكة الكرام، ومعهم جبريل عليه السلام في يوم واحد من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السماوات السبع يوازي بحساب البشر: خمسين ألف سنة.

وترتيب هذه الأعمال - بحسب ما ظهر من مجموع الأدلة، وأقوال أهل العلم[1] على النحو التالي:

١ - النفخة الأولى: نفخة الصعق.

أوّل أهوال القيامة نفخة الصور العظيمة التي أوكلها الله تعالى لملَك كريم هو إسرافيل عليه السلام، وبسببها تفزع الخلائق فتضطرب قلوبهم، وتطيش عقولهم، وتنخلع أرواحهم، وتمور الأرض لشدّتها، ثم ترجف وتتشقق، وتُخرج الحمم من باطنها، وتموج البحار، وتُفجّر وترتفع أمواجها، وتُسجّر من داخلها، وتتأجّج ناراً، وبسببها تذهل ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾[الحج: ٢].

١() جمع الشيخ عبدالله الدميجي - أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى - أدلة المسألة، وأقوال أهل العلم في ترتيب أعمال اليوم الآخر، وذكر بأنّها تبدأ بالنفخة الأولى للصور، ثم نفخة البعث والقيام، ثم الحشر، ثم الشفاعة العظمى، ثم عرض الأعمال، ثم الحساب الأول وما فيه من جدال ومعاذير، ثم تطاير الصحف فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله، ثم الحساب الآخر لقطع المعاذير وقيام الحجة بعد قراءة الكتاب، ثم نصب الموازين، ثم الظلمة والأنوار التي تكون بقدر الإيمان، ثم الصراط والورود، ثم القنطرة بين الجنة والنار والقصاص، ثم دار القرار إما الجنة أو النار. وذكر بأن أقوال العلماء تعددت في الحوض فقيل: بعد المحشر، وقيل: بعد الصراط. والأدلة متكافئة.

ومن شدّة هذه الرّجفة تُدكّ الجبال، وتُنسَف نسفًا، وتُبسّ بسًّا أي: تُفتّت حتى تصير رخوة لينة كالدقيق، ثم تكون ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ أكوامًا من حبّات رمل متناثرة تذروها الرياح، ﴿كَٱلۡعِهۡنِ﴾ وهو الصوف ﴿ٱلۡمَنفُوشِ﴾، ثم يطير غبارها في الريح، ويسير كالسراب، و﴿تَمُرُّ﴾ في الجو ﴿مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾. وتضطرب السماء من شدّة هذه الرّجفة، وتمور موراً، وتتفطّر وتتشقق، ﴿فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾ ضعيفة، ويذهب لونها الأزرق الجميل ويتبدّل فتصير ﴿وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾ أي: كلون الوردة متنوعة الألوان والأصباغ؛ فتارة تصبح حمراء، وتارة صفراء وخضراء وزرقاء.

وتُكوّر الشمس، ويُجمع بعضها على بعض كما تُكوّر العمامة وتُلفّ، ويذهب ضوؤها. والقمر يخسُف ضوؤه، ويذهب بريقه، والنجوم والكواكب تتناثر في القبّة السماوية، وتنكدر، أي: تتغير وتسقط واحدة تلو الأخرى، كالعقد الذي انفرطت حبّاته، ويذهل الناس عن نفائس أموالهم التي كانوا يراعونها ويهتمون لها، وتتفجر البحار ناراً، فتصير على عِظمها ناراً تتوقد. قال جلّ جلاله مصوراً هذه الأهوال: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾[التكوير:١ -٦]. وقال سبحانه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ [الانفطار: ١ - ٤].

وبسبب هذه النفخة تفنى الحياة على كوكب الأرض، ويُصعق ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من الملائكة والحور والغلمان. عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ طرف صاحب الصور مُذ

وُكِل به مستعدّ، ينظرُ نحو العرش مخافة أن يُؤمر قبل أن يرتدّ إليه طرفه، كأنّ عينيه كوكبان درّيان»[1]. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ»، قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا»[2].

فإذا فني الخلق أجمعون قبض الجبار جلّ جلاله الأرض، وطوى السماء بيمينه ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ أي: كما تُطوى الصحيفة في اليد، ثم يقول: «أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»[3]. فإذا تكاملت عُدّة الموتى، وخلت الأرض والسماء من سكانها، فصاروا خامدين بعد حركتهم، لا حسَّ يومئذ يُسمع، ولا شخص يُرى، ويبقى الجبّار الأعلى منفرداً بعظمته وجلاله، أزليًا واحداً، لم يفجأ أرواح الخلائق إلا نداء المنادي بالعرض على ملك الملوك جلّ جلاله، ومعها يبدأ العرض الأكبر.

٢- النفخة الثانية: نفخة البعث.

إذ استتمّ فناء الخلائق أربعين سنة بعد نفخة الصعق[4]، وبُدّلت الأرض غير الأرض والسماوات أذِن الله تعالى بقيام الخلائق من قبورها

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني، (الصحيحة ٣/ ٦٦).

(٢) أخرجه الحاكم، وصححه الألباني، (الصحيحة ٣/ ٦٥).

(٣) متفق عليه.

(٤) انظر: فتح الباري (ج١١/ ص٣٧٠). وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون». ورجح أنها أربعين سنة الأئمة: النووي والبغوي والطبري والقرطبي والشوكاني والألوسي وابن الجوزي رحمهم الله.

وبعثها من جديد، وأمر إسرافيل عليه السلام أن ينفخ في الصور مرة أخرى لتبدأ بعدها الحياة من جديد.

٣ - قيام الخلائق من قبورها.

نمو الخلائق يوم القيامة كحال البذرة إذا روّاها المطر بعد تقليب الأرض الصالحة وحرثها! وكذلك الأرض إذا زلزلت واضطربت يوم القيامة.. تُخرج ما بداخلها، ثمّ ينزل سبحانه مطراً من تحت العرش، تهتزّ له بقايا بني آدم، وتَنبُتُ الأجسادُ من عُجب الذنب، ويأمرها الله جلّت قدرته أن تتجمع بعد أن أصبحت رميماً متفرقاً في التراب، فتجتمع من طبقات الأرض، ومن بطون السباع، وحواصل الطير، ومن كل مكان، فإذا هم قيام أسوياء، بلا روح، كحالهم يوم خلق أبيهم آدم عليه السلام! فإذا نُفخ في الصّور أخرى تطايرت الأرواح واجتمعت بأجسادها؛ ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزُّمَر: ٦٨]. وقال سبحانه في تقريب حقيقة النشأة الأخرى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾[ق: ٩ - ١١]. أي: كذلك خروجكم من الأرض يوم القيامة. وقال سبحانه عن لحظة الصّدمة الكبرى للمكذّبين: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[يس: ٤٨-٥٢]. وقال جلّ شأنه: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ

زُوِّجَتۡ ﴾[التكوير: ٧]. أيّ: اقترنت بأجسادها، ورُدّت إليها عند البعث[١]. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (يقوم المَلَك بالصّور بين السماء والأرض فينفخ فيه، والصور قرنٌ، فلا يبقى خلق في السماوات والأرض إلا مات، إلا من شاء ربك، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، فليس من بني آدم خلق إلا منه شيء، فيرسل الله ماء من تحت العرش كمنيّ الرجال، فتنبت لحمانهم وجثمانهم من ذلك الماء كما ينبت الأرض من الثرى. ثم قرأ ابن مسعود: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[فاطر: ٩]، قال: ثمّ يقوم ملَك بالصّور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، فينطلق كل نفس إلى جسدها حتى يدخل فيه، ثم يقومون، فيحيون حياة رجل واحد، قياماً لرب العالمين)[٢].

فما حالك ﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ وأنت تسمعه بصوت عظيم يقول على أرض المحشر: يا أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم الممزّقة، والشعور المتفرقة، إنّ الله يأمركنّ أن تجتمعن لفصل القضاء. فإذا وقع الصوت في مسامعك وعقلك، وتحققت أنّ المنادي يدعوك إلى العرض على المَلِك الأعلى، ذي الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء، طار فؤادك، وشاب رأسك. وبينا أنت فزعٌ للصوت إذ سمعت بانفراج الأرض عن رأسك، فوثبت مغبرّاً من رأسك إلى قدمك بغبار

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، (ج٤/ ص١٨١).

(٢) أخرجه الحاكم، ج٤/ ص٥٤٢). وقال ابن حجر: رواته ثقات إلا أنه موقوف. (فتح الباري، ج١١/ ص٣٧٠).

قبرك، قائماً على قدميك، شاخصاً ببصرك نحو النداء، وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة، فزعون، مغبرّون من غبار الأرض التي طال فيها بلاؤهم[1]. وعلى مدّ بصرك ترى الخلائق يومئذ تنشقّ قبورهم عن أجسامهم البالية و﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾، صاغرين مذعنين، لا يتخلّف منهم أحد، ﴿تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ بلا توان ولا تأخير، يقومون فزعين على أرض جرداء لا اعوجاج فيها، غير الأرض التي ألفوها، تحت سماء غير السماء التي عهدوها.

ويا له من بعث يسير هيّن على الله تعالى؛ فالعظام الرميم، والأجساد والأشلاء الممزقة ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[يس:٧٩]، وكلّ ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾. ولا يقدر على ذلك غيره جلّ جلاله، بالرغم من تفرّق الأجساد، وتباعد القبور، وتناثر الاشلاء أو تحولها إلى تراب ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٤].

ويخرج بنو آدم من قبورهم أقوى ما كانوا، وأعظم أجساماً، وأشدّ تحمّلاً.. حفاة لا نِعال لهم، عُراة لا لباس يكسوهم، غُرلاً غير مختونين، لم ينقص من خلقهم شيء، كما خرجوا من بطون أمهاتهم أوّل مرّة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «يُحشر الناس يوم القيامة حفاةً عُراة

(١) بتصرف من كتاب التوهم في وصف أحوال الآخرة للحارث المحاسبي، ص١٠.

غُرلاً» قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «يا عائشة الأمر أشدّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض»[1].

وأوّل من ينشق عنه قبره: محمد ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الناس يُصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صُعق فأفاق قبلي، أم كان ممن استثنى الله»[2].

وأوّل من يكسوه الله تعالى ويستره في ذلك اليوم: خليل الله إبراهيم ﷺ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال: «إنكم محشورون حفاةً عراةً غرلاً: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾، وإنّ أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم»[3]. ثمّ يُكسى بعده الأنبياء، ثم الصِّدّيقون، ثم مَن بعدَهم، بحسب مراتبهم[4].

لقد شاهد السعيد، برحمة ربّه، عظمة الانضباط والتنظيم والترتيب ساعة انشقّ عنه قبره؛ فالنّاس منذ خروجهم يدعون إلى النّظام والتجمّع في أماكنهم المحدّدة، وتحشرهم ملائكة الرحمن على عرصات القيامة.. أممًا أممًا، يتقدّم كلّ أمّة رسولها. ويظلّون قيامًا، حتى إذا دنت ساعة الحساب

(١) صحيح مسلم، (٤/ ٢١٩٤).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) النهاية لابن كثير، (١/ ٢٨٨).

جثت الخلائق على رُكبها، قال اللّه تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الجاثية: ٢٨ - ٢٩].

وفي عرصات القيامة تظهر دقّة الجزاء، بنظام دقيق، وميزان عدل لا ظلم فيه. وأعمال ذلك اليوم مرتّبة منظّمة، لا يتقدّم فيها أحدٌ على أحد، ولا عملٌ على عمل. والنّاس على أحوال مرهونة بما قدموا في الدنيا؛ جزاء وفاقًا؛ فالسّعداء يرفلون في أحوال السعادة، والأشقياء تغشاهم أحوال الشقاوة. والعبور على الصراط يتمّ بنظام، وكذلك اجتماع المتّقين في القنطرة قبل دخول الجنّة. وعلى مشارف أبواب الجنّة تتجلّى أبهى صور النظام، وأسمى مراتب الدّقّة التي لم يعهدها البشر في أيّامهم الخالية.

٤ - حشر مهيبٌ على الأرض الجديدة.

إذا استتمّ بعثُ الخلائق يوم الخروج ناداهم مَلَك عظيم بصوت ينفذ من الأسماع لقوته، يدعوهم فيه للحشر والاجتماع من أجل الحساب وفصل القضاء. فإذا سمعوا الصوت، هبّوا ملبّين[1]: ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾، ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين إلى إجابة دعوته على عجل، من كل مكان، ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعيها إلى الأعلى، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾.. قد شَخَصت أبصارهم، ودام نظرهم فلا يطرفون لحظة لما هم فيه من الهول العظيم، ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ خاوية وجلة، ليس فيها شيء لكثرة الخوف، خالية إلا من الترقّب لما سيحلّ بهم، ﴿كَاظِمِينَ﴾ على قلوبهم من شدّة

١() تفسير أضواء البيان، (٤/ ١٠٠).

الكرب، لا يتكلمون إلا همسًا، يقول الكافرون لبعضهم في روع شديد: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾، فتجيبهم الملائكة: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾. عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي». قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد[1].

والحقائق الغيبية الكبرى تتجلّى عين اليقين حين يخرج بنو آدم على العالم الجديد، الذي تبدّلت أرضُه وسماؤه.. أرض جرداء عفراء، صفصف: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا﴾ قد اكتظّت بالأجساد العارية الوجلة، والشّمس قريبة دانية، قد اتّقدت حرارتها!! والملائكة تنظّم الجموع، وتنادي كلّ أمّة لتلحق بنبيها.. مخلوقات كريمة تطير وتسير، لم يرها بنو آدم من قبل، كثيرة لا حصر لها، ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾، وزيادة لا يعلمها إلا هو سبحانه.

فتخيّل سيرك بالرعب والفزع، وتخيّل نفسك بعُريك ومذلّتك، وانفرادك بخوفك وأحزانك، وغمومك وهمومك في زحمة الخلائق.. عراة حفاة، وهم صموتٌ أجمعون بالذلة والمسكنة والمخافة والرهبة، فلا تسمع إلا همس أقدامهم وصوت المنادي من حولهم، والخلائق مقبلون نحوه، وأنت فيهم مقبلٌ نحو الصوت، ساعٍ بالخشوع والذلة[2].

١() رواه البخاري.

٢() تصرف من كتاب التوهم للمحاسبي، ص١١.

ويُحشر الناس يومئذ على ما ماتوا عليه، فمن مات مصليًا بُعث مصليًا، ومن مات مُحرمًا أو مجاهداً بُعث على حاله الذي مات عليه. ومن مات عاصيًا بُعث على عمله ذاك. عن جابر ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُبعث كلّ عبد على ما مات عليه»[1]. والملائكة تسوق الإنس والجنّ وسائر الوحوش والدواب إلى أرض المحشر التي سيكون عليها فصل القضاء. فإذا استتمّ حشرهم، وطال قيامهم، واستدام كربهم وعناؤهم، في يوم ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. جهدوا أشدّ الجهد في ذلك اليوم الطويل، وتعبوا أشدّ التعب، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يستظلّون ولا يضحكون، إلا من أظلّه الله تعالى في ظِلّه، يوم لا ظِلّ إلا ظِلّه.

٥ - في وسط الزحام:

إذا وافى الموقفَ أهلُ السموات السبع، والأرضين السبع، وأدنيت الشمس من رؤوس الخلائق قاب قوس أو قوسين، ولا ظلّ لأحد إلا ظل عرش رب العالمين، فمن بين مستظلّ بظلّ العرش، وبين مضحو بحرّ الشمس، قد صهرته بحرّها، واشتدّ كربه وقلقه من وهجها، ثم ازدحمت الأمم وتدافعتْ، فدفع بعضُها بعضًا، وتضايقت فاختلفت الأقدام، وانقطعت الأعناق من العطش، واجتمع حرّ الشمس، ووهج أنفاس الخلائق، وتزاحم أجسامهم، ففاض العرق منهم سائلاً حتى استنقع على وجه الأرض ثم على الأبدان على قدر مراتبهم ومنازلهم عند الله عز وجل بالسعادة والشقاء[2].

١() أخرجه مسلم، (٤/ ٢٢٠٦).

٢() المرجع نفسه.

والناس يومئذ يخوضون في عرقهم بحسب أعمالهم، ولا عاصم من أمر الجبار سبحانه إلا من رَحِم. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعـًا، ويُلجمهم حتى يبلغ آذانهم»[1].

ومع تلك الشدائد ينشغل المرء بنفسه، ويفرّ ﴿مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾. ويحقر كل تقي صالح عمله لشدّة ما يسمع ويرى، عن عتبة بن عبد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنّ رجلا يُجرّ على وجهه من يوم وُلِد إلى يوم يموت هرمـًا في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة»[2].

فما حالك إذا وافيتَ ذلك الموقف وحدك، وسرت هائمـًا على وجهك، متبعـًا صوت الداعي في الموقف المهيب، وكلما نظرت عن يمينك وشمالك وجدت الأمم كلها من الجن والإنس قد ازدحموا من حولك، حُفاة عُراة قد اكتظّ بهم المكان، ونُزِع المُلك من ملوك الأرض ولزمتهم الذِّلّة والصَّغار والهوان، فهم أذلّ أهل الجمع، وأقلّهم قدراً بعد عتوّهم وتجبُّرهم، ومن بعيد تسير الوحوشَ ذليلة في يوم النشور بعد ضراوتها لغير معصية اقترفتها، ولا خطيئة أصابتها، وتراها تُقبِل منكِّسةً رؤوسها حتى تقف من وراء الخلائق بالذل والمسكنة والانكسار للملك الجبار. وتُقبل الشياطين بعد عتوّها وتمرّدها خاشعةً لذلّ العرض على

١() أخرجه البخاري، (٨/ ١١١).

٢() أخرجه أحمد والطبراني، وصححه الألباني (الصحيحة، ١/ ٨٠٧).

ربّها، فسبحان الذي جمعهم على اختلاف الخلق والطبائع، قد زال توحّش بعضهم من بعض بعد أن رهقهم ذلّ الموقف، وأصابهم الهلع في يوم النشور[1].

ويجاء ﴿يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ﴾ «لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[2]، قد امتلأ سمعك من زفيرها وشهيقها، واضطرب فؤادك من تطاير شررها، وأبصرت الخلائق تفرّ فزعـًا من دويِّ زفيرها، وتولّي هاربةً هائمة على وجوهها، قد اختلطت أصواتهم، واشتد بكاؤهم كلما ارتفع شهيقها وزفيرها، يتساقطون على ركبهم جثاة من هول منظرها، وهي تفور من غيظها، متعجّلة لوقودها، مترقّبة قذف المجرمين فيها، وخزنتها ينادون الظالمين بالويل والثبور، وجواب كل نبيّ وصدِّيق وشهيد يومئذ: نفسي نفسي[3].

٦- النزول الإلهي لفصل القضاء.

فإذا تكاملت عُدّة أهل الأرض من إنسها وجنها، وشياطينها، ووحوشها، وأنعامها، واستووا جميعـًا في موقف العرض والحساب، وتشققت السماء من فوقهم ﴿بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من أبوابها ﴿تَنزِيلًا﴾، وبدأت أفواجهم تتنزّل على أرض المحشر بأعداد غفيرة كان ذلك تقدمةً لمجيء الربّ جلاله.

١() بتصرف من التوهم، للمحاسبي، ص١١.

٢() صحيح مسلم، (٤/ ٢١٨٤).

٣() التوهم، للحارث المحاسبي، ص١٨.

ونزول الملائكة الكرام بين يديّ ربّها تقدّست أسماؤه في غاية التنظيم، حيث ينزل ملائكة السماء الدنيا فيقفون صفًّا صفًّا، محيطين بالخلائق، وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس، ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها من الملائكة وهم أكثر ممن في السماء الدنيا، ومن الجن والإنس، ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها، ثم ينزل سادة الملائكة وهم المقربون، ثم حملة العرش[1].

وكلما نزل فوج من الملائكة أحاطوا بالخلق، وهم على كثرتهم وقوتهم مذعنين لأمر ربهم، لا يتكلم منهم أحد إلا بإذنه، وجبريل عليه السلام قائم معهم، وهو خاشع خاضع لأمر ربّه، لا يتكلّم إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[النبأ: ٣٨]، وقال سبحانه مخبراً عن هذا المشهد العظيم: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[الحاقة: ١٣ - ١٨].

ومراسم الفصل بين الخلائق على درجة من الدّقة والنّظام كذلك؛ فهي لا تبدأ حتى ينزل الجبّار جلّ جلاله. ونزوله سبحانه محفوف بالهيبة والوقار والعظمة، في ظُلَل من الغمام والملائكة، قال الله جلّ جلاله، وتقدّست أسماؤه، يصف حال السماء ساعة تنزّله إلى أهل الموقف: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[الحاقة: ١٧]. أي: على

١() تفسير البغوي، (٣/ ٤٤٢).

جوانب السماء وأركانها.. صفـًا صفـًا، خاضعين لـربّهم مستكينين لعظمتـه، وتـرى في ذلـك الموقـف العظـيم الأغنيـاء والفقـراء، والرجـال والنسـاء، والأحـرار والأرقّـاء، والملـوك والسـوقة.. سـاكتين مُنصـتين، خاشـعة أبصارهم، خاضعةً رقابهم، جاثين على رُكَبِهم، عانيةً وجوههم.. لا يـدرون ماذا ينفصل كل منهم به، ولا ماذا يُفعل بهـم، قـد اشـتغل كـلٌّ بنفسـه وشـأنه، عن أبيه وأخيه، وصديقه وحبيبه[1].

فلا تسل عن ذهول عقلك وقلبك وأنـت تـرى كـلّ ذلـك.. تـرى تشـقق السماء بعظمتها من فوق رؤوس الخلائق، وتسمع صوت انشقاقها، وتُبصـر الهـول العظـيم حـين يقـوم الملائكـة علـى أرجـاء السـماء، وهـي جوانبهـا وأركانها، وما يتشقق ويتفطر منها، خاضعين لربهم، مستكينين لعظمتـه. فمـا ظنـك بهـول تنشـق فيـه السـماء بعظمهـا، وتنحـدر فيـه الملائكـة مـن حافّتهـا محشـورين إلـى أرض العـرض والحسـاب، بعظـم أجسـامهم وأخطـارهم وعلو أصواتهم بتقديس الملك الأعلى الذي أنزلهم وحشرهم.. فيـا فزعـك وفزِع من حولك حين يصفّ الملائكة محدقين بالخلائق صفـًا واحداً، وقد تسربلوا بأجنحتهم ونكسوا رؤوسهم، على عِظم خلقهم[2].

فـإذا اسـتتمّ جمـع الملائكـة، ورُصّـت صـفوفهم، واشـرأبت أعنـاق الخلائق خوفـًا وهلعـًا إذ هـم بملك الملوك ينزل لفصل القضـاء بـين عبـاده،

---

(١) تفسير السعدي، (ج١/ ص٥١٣)

٢() بتصرف من التوهم، للمحاسبي، ص١٢.

نـزولاً يليـق بجلالـه ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1].. ملائكـة مـن السـماء يتنزّلـون، وملائكـة ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ صـافّين خاضـعين بـأجنحتهم تعظيمـاً وإجلالاً، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾؛ عندها تتفطر لهـول المطلع قلوب المجرمين، وتضطرب أفئدة أهل الموقف أجمعين.

٧ - الشفاعة العظمى بين الناس.

الشفاعة بين يديه سبحانه ليست لكلّ أحد، بل مرهونة برضاه عن الشافع والمشفّع معـاً. والأمم جاثية خلف أنبيائها، والأنبياء على وجل عظيم، لا يجرؤ أحد منهم على الكلام؛ هيبة لمقام ربّه. ويطول بالنّاس الوقوف، وينقطع الكلام، فلا تسمع إلا الهمس، والمخافتة سِرّاً بتحريك الشفتين. ولا يُسمع في ذلك اليوم صوتٌ بين الخلائق إلا صوت الدّاعي، وهو مَلَك كريم، ذو شأنٍ عظيم، ينادي أهل الموقف كلّهم للحضور والاجتماع، بصوت جهوري واضح، فيتّبعونه.. مسرعين فزعين، لا يلتفتون عنه. قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[طه:١٠٨- ١٠٩]. عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: تلا رسول

---

(١) ينزل ربنا في ذلك اليوم والحال أنّ سماء القيامة تغطيه الظُلل التي تحجب الخلائق عن رؤية ما في السماء، وهذه الظُلل حجاب في حقّهم لا في حق ربّهم جلّ جلاله، إذ لا يحيط به شيء جلّت قدرته، والمحمول يومئذ العرش لا ملك الملوك سبحانه، وحاشاه سبحانه أن يُحيط به شيء من مخلوقاته، مهما كانت عظمتهم وبلغت عدّتهم .

الله ﷺ الآية: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ثمّ قال: (كيف بكم إذا جمعكم اللّه كما يجمع النبل في الكنانة، خمسين ألف سنة، ثم لا ينظر اللّه إليكم؟)[1].

فإذا ضاق بالخلائق القيامُ، وأحدقت بهم الأهوال، واشتدّ عليهم الفزع من كلّ جانب لجأوا إلى الأنبياء والرّسل واحداً تلو الآخر ليشفعوا لهم عند ربّهم لفصل القضاء، إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار. والشفاعة يومئذ لا تُقبل ﴿إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾.

وعلى جلالة قدر الرّسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ومكانتهم عند ربّهم إلا أنّهم يعتذرون يومئذ عن مقام الشفاعة، ويرجون السلامة لأنفسهم، ويقول كلّ منهم: نفسي نفسي، فرقـًا من شدة غضب الربّ سبحانه، حتى تنتهي الخلائق إلى محمد ﷺ فيتقدم بين يدي ربّه جلّ جلاله، ويسجد طلبـًا للشفاعة بالحساب، وفصل القضاء بين الخلائق. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ يومًا بلحم فرُفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال: «أنا سيّد الناس يوم القيامة. وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيُسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغمّ والكرب مالا يطيقون ومالا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، ج٤/ ص٦١٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

بعض الناس لبعض: ائتوا آدم. فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بَلَغَنا؟ فيقول آدم: إنّ ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته.. نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرُّسل إلى الأرض، وسمّاك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغَنا؟ فيقول لهم: إنّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتُ بها على قومي.. نفسي، نفسي. اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ . فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بَلَغَنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إنّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته.. نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى ﷺ فيقولون: يا موسى أنت رسولُ الله فضّلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغَنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها.. نفسي، نفسي اذهبوا إلى عيسى ﷺ . فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلّمت الناس في المهد، وكلِمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغَنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إنّ ربي قد غضب اليوم

غضبـاً لـم يغضـب قبلـه مثلـه ولـن يغضـب بعـده مثلـه ولـم يـذكر لـه ذنبـاً.. نفسي، نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ . فيأتونـي فيقولـون: يا محمّد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغَنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ويفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي. ثم يُقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفّع. فأرفع رأسي فأقول: يا ربّ أمّتي، أمّتي. فيقال: يا محمد، أدخل الجنّة من أمّتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء النّاس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفس محمد بيده إنّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»[1].

وهذه الشفاعة العظمى في موقف القيامة خاصة بنبينا محمد ﷺ دون سائر إخوانه الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين، وهي المقام المحمود الذي تحمده عليها الخلائق كلها، ووعده الله عزّ وجلّ إيّاها بقوله سبحانه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾[الإسراء: ٧٩]، ثم تكون سائر الشفاعات بعد ذلك[2].

١() متفق عليه.

٢() الشفاعة في استفتاح باب الجنة، والشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفار، وهاتان خاصّتان بنبينا محمد ﷺ، والشفاعة في أقوام قد أُمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها، والشفاعة فيمن دخلها من أهل التوحيد أن يخرجوا منها، =

عندها تحين ساعة الحساب، ويُستخرج من كلّ أمّة رسولُها، فيسأله ربّه، وهو أعلم به: (هلّ بلّغت قومك، ودعوتهم إلى عبادة ربّهم؟) وأمّته من خلفه، تسمع السؤال، وتسمع الجواب. فإذا فرغ النبي ﷺ سأل اللّه تعالى أمّته عنه، فإذا كذّبوه، طلب اللّه تعالى من النبي ﷺ شهوداً على صدقه. قال رسول الله ﷺ: (يُدعى نوحٌ يوم القيامة فيقول: لبّيك وسعديك يا ربّ. فيقول: (هل بلّغتَ؟) فيقول: نعم. فيُقال لأمّته: (هل بلَّغكم؟) فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: (من يشهد لك؟) فيقول: محمّدٌ وأمّته، فيشهدون أنّه قد بلّغ، فذلك قوله جلّ ذكره: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)[1].

٨- الحوض.

في هذا اليوم العظيم يَرِد السعداء من أمّة محمد ﷺ عليه الحوض الذي اختصّه الله تعالى به. وهو حوض عظيم، ومورد كريم على ارض المحشر. عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما

والشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة. وهذه الشفاعات الثلاث ليست خاصة بنبينا ﷺ ولكنه المقدّم فيها، ويشفع معه الأنبياء، والملائكة، والأولياء، والأفراط. (أعلام السنة المنشورة، ص ٧٥).

(١) أخرجه البخاري، (ج٤/ ص١٦٣١) عن أبي سعيد الخدري.

بين عمان إلى أيلة[1]، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل»[2]. «وريحه أطيب من المسك»[3].

والنبي ﷺ فرط لأمته على الحوض يتقدمهم، ويذود الناس عنهم، وبخاصة السعداء من أهل اليمن. عن ثوبان رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضربُ بعصاي حتى يرفض عليهم». فسُئل عن عرضه فقال: «من مقامي إلى عمان»، وسئل عن شرابه فقال: «أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، يغتّ فيه ميزابان يمّدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق»[4].

ورسول الله ﷺ أكثر الأنبياء تابعاً في ذلك اليوم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»[5].

١() قال ياقوت: أَيْلَة: أي: بيت الله. مدينة على ساحل بحر القلزم - وهو البحر الأحمر - مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، قال أبو زيد: أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمُسخوا قردة وخنازير، وقدم يوحنّة بن رؤبة على النبي ﷺ من أيلة وهو في تبوك فصالحه على الجزية. (معجم البلدان، ١/ ٢٩٢).

(٢) صحيح مسلم، (٤/ ١٧٩٨).

٣() متفق عليه.

٤() صحيح مسلم (٤/ ١٧٩٩).

٥() صحيح مسلم، (١/ ١٨٨).

وأمّة محمد ﷺ أكثر الأمم يوم القيامة وأشرفها، عن بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «عُرضت علي الأمم، فجعل النبي والنبيّان يمرّون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رُفع لي سواد عظيم، قلت: ما هذا؟ أمّتي هذه؟ قيل: هذا موسى وقومه. قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سواد يملأ الأفق. ثم قيل لي: انظر هاهنا وهاهنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب»(١). ولهذه الأمّة من الشفاعات ما ليس لغيرها، وأعظم الشفاعات في ذلك اليوم العظيم: شفاعة ربّ العالمين، ثم شفاعة رسوله الكريم ﷺ الذي اختبأ دعوته لهذا المقام. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة دعاها لأمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»(٢).

٩- الحساب والميزان.

إذا أذِن الله تعالى بفصل القضاء أخذت الملائكة تجمّع الناس وتصفّهم بنظام، وتدعوهم أمماً أمماً، كلّ أمة يتقدّمها رسولها ليشهد عليها بما أجابته، وتشهد عليه بما جاءها، والخلائق يتّبعون صوت المنادي قد خضعت منهم الرقاب، ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ تعظيماً وإجلالاً ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾. وعند المناداة ترى ﴿كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ على رُكَبِها خوفاً وذُعراً وترقباً، ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ

١() متفق عليه.

٢() متفق عليه.

عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الجاثية: ٢٨ - ٢٩]. ثمّ تعرض أعمال العباد وتُنشر الدواوين وتتطاير الصحف، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾[الحاقة: ١٩ - ٢٩].

ويُنصب الميزان يومئذ وله كفتان توزن به الأعمال، ويوزن به أصحابها، وتوزن به صحائف أعمالهم أيضاً. ومصيرُ الناس في ذلك اليوم مرهون بأعمالهم؛ فالسعداء ترجح حسناتهم على سيئاتهم ويحلّ عليهم الرضوان وسعادة الأبد، والأشقياء ترجح سيئاتهم على حسناتهم ويحّل عليهم السخط والغضب السرمدي، والكفار الذين لا حسنات لهم تُعدّ عليهم أعمالهم، وتُحصى أمامهم زيادة في حسرتهم ثم يوقفون عليها ويقررون بها، ويؤخذ بنواصيهم وأقدامهم إلى النار، وينادى على كلّ إنسان باسمه ليتقدم لفصل القضاء.

وحركة المنادى عليهم بين جموع الخلائق منظّمة، وفي غاية الدّقة، وما يُسئل به المنادى، ومن يشهد عليه، وما يُقدّم له من السجلات والصحف، كلّ ذلك مرتّب ومنظّم بدقة متناهية!! وكلّ فرد من بني آدم يستعرض في ذلك اليوم سجلّه الذي يحوي (جميع) عمله في الدّنيا، موثّقاً بأصغر جزء من الثانية، وعلى كل عملٍ من تلك الأعمال شهودُه من السّماء والأرض، فإن لم يقبل شهادتها، أُخرِسَ لسانُه فشهدت أعضاؤه! عن أبي

ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنّي لأعلم آخر أهل الجنّة دخولاً الجنّة وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: (اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها)، فتُعرض عليه صغارُ ذنوبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا. فيقول: نعم، لا يستطيع أن يُنكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه، فيُقال له: (فإنّ لك مكان كلّ سيئة حسنة)، فيقول: ربّ قد عملت أشياء لا أراها ها هنا)، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه[1]، قال تعالى: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ﴾. والجزاء يومئذ موكول بالعمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

والناس يومئذ: شقي وسعيد، والسعداء منهم على صنفين: صنف يدخل الجنّة ابتداء؛ لتحقيقه أصل التّوحيد، وتمامه، وكماله، وصنف يدخلها انتهاء بعد التهذيب في النار؛ لتحقيقه أصل التوحيد. ولا يحاسب أحدٌ عن أحد، ولا يحمل أحدٌ عن أحد. والسّعداء لهم أحوالهم، وكذلك الأشقياء، وحوض النبي ﷺ لا يَرِدُه إلا أمّته، بنظام تتولاّه الملائكة الكرام، ومعرفة دقيقة بمن يَرِد ومن يُرَدّ!! والسّعيد يشهد ذلك كلّه لا يغيب عنه شيء؛ فإذا وُزِن وعملُه، وفرغ من كنف السّتر نودي عليه أن أقبِل، فيتّجه حيث ضُرب الصّراط باتجاه القنطرة، فيجد الخلائق هناك يُنادى عليهم بالورود.. واحداً تلو الآخر!!

(١) أخرجه مسلم، (ج١/ ص١٧٥).

فما حالك وأنت واقف مع الخلائق وجلاً مذعوراً ولا يروعك إلا صوت المنادي يصرخ باسمك على رؤوس الخلائق.. الأولين والآخرين: أين فلان ابن فلان؟ هلمَّ إلى العرض على الله عزَّ وجلَّ، وقد وُكِّلَ الملائكة بأخذك حتى يقرِّبوك إلى ربك. فإن كنت من أهل السعادة عرض عليك ربّك سيئاتك، وقررّك بها ثم غفرها لك، وإن كنت من أهل الشقاوة حوسبت حساباً عسيراً، وحُصيت عليك كلّ صغيرة وكبيرة من أعمالك، عندها تقول وأنت مُشفق خائف مما تسمع وترى: يا ويلتى ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾. عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، قال: «ليس أحدٌ يحاسب إلا هلك»، قلت: يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ قال: «ذاك العرض، ولكن من نوقش الحساب هلك»[1]. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربّه عزّ وجلّ، حتى يضع عليه كنفه، فيقرّره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي ربّ أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيُعطى صحيفةَ حسناته، وأمّا الكفار والمنافقون، فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله»[2].

ونتيجة الحساب تظهر يومئذ حال استلام الكتاب، ورؤية الحال، وسماع الجواب، ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا﴾[الانشقاق:٧ – ١٥].

١() صحيح مسلم، (٤/ ٢١٨٤).

٢() متفق عليه.

١٠ - حصول الظلمة والأنوار بقدر الإيمان.

إذا فُرغ من الحساب، وقُطعت المعاذير، وقامت الحجة على العباد حصل التمايز بين المؤمنين والكافرين، حيث يأمر الله تعالى الكفار أن يتّبعوا آلهتهم التي عبدوها من دون الله فيتبّعوها حتى توردهم النار، وهناك تتخطفهم الملائكة من نواصي وجوههم وأقدامهم، وتقذفهم في النار كقطعان الماشية، ولا يبقى ثَمّ إلا المؤمنون فيؤخذ بهم إلى الصراط.

عن أبي سعيد الخدري ﵁: أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: تتبع كل أمّة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله برّ أو فاجر، وغبرات أهل الكتاب فيُدعى اليهود فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار، ثم يُدعى النصارى فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر، أو فاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد، فيقول: أنا

ربكم، فيقولون: لا نشرك بالله شيئًا، مرتين أو ثلاثًا»[١]. وفي رواية: «نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد.. الأول فالأول، ثم يأتينا ربُّنا بعد ذلك فيقول: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربَّنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون حتى ننظر إليك، فيتجلّى لهم يضحك فيتّبعونه»[٢].

وقبل المرور على الصراط بقليل تُبدّل الأرض والسماوات من جديد، وتقع الظلمة في أرض المحشر، وتموج الخلائق في سواد بهيم، ثمّ تؤتى الأنوار بعدها لكل منهم بقدر إيمانه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط»[٣]. فإذا وقعت الظلمة حصل التمايز الأخير بين المؤمنين والمنافقين، وعندها يقول المنافقون والمنافقات: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾. عن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ أنّ حبراً من أحبار اليهود سأل رسول الله ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظُلمة دون الجسر»[٤].

---

(١) صحيح البخاري، (٦/ ٤٤).

(٢) السلسلة الصحيحة، (٦/ ٥٧٣).

٣() مسلم (٤/ ٢١٥٠).

٤() صحيح مسلم (١/ ٢٥٢).

١١ - ورود الصراط.

وورود الصراط حتم لازم على المؤمنين أجمعين؛ لقول الحقّ جلّ شأنه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال ﷺ: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبَع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنتَ ربُنا، فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرّسل بأمّته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟» قالوا: نعم، قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يُعلم قدر عِظَمِها إلا الله، تخطُف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثم ينجو».

والصراط جسر جهنم، وهو أحدّ من السيف، وأدقّ من الشعر، يمر المؤمنون عليه كلّ بحسب عمله الصالح؛ فمنهم كالبرق، ومنهم كالريح المرسلة، ومنهم كأجاويد الخيل، وكركاب الإبل، ومنهم من يعدوا عدواً، ومنهم الساعي، ومنهم الماشي، ومنهم من يحبو حبوًا، ومنهم من يزحف

زحفًا، ومنهم من تخطّفه كلاليب الصراط فتخدشه هنا وهناك، ومنهم من تنشب به الكلاليب فتُلقي به في جهنم ليُهذّب فيها مدّة حتى تدركه رحمة ربّه[1]. فهو مقام هائل يمتحن الله به عباده، ليميز الخبيث من الطيب؛ ويُخلص لكل دار أهلها.

فإذا جاز المؤمنون الصراط وفدوا إلى القنطرة بين الجنة والنار، وهناك يحدث القصاص الأخير بينهم، ويحصل التراضي قبل أن يشرعوا في الوفود إلى دار القرار[2].

p p p

١() انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، (١/ ١٩٨).

٢() أفردت الحديث عما يحدث في القنطرة فما بعدها بتوسّع في كتاب (أحقـًا هذه الجنة؟).

المحطة الثالثة:

الأحوال

مشاهد من أحوال السعداء،

والأشقياء يوم القيامة

الأحوال

الناس يوم القيامة بين شقيّ وسعيد، وهم على أحوال وهيئات بحسب أعمالهم التي أسلفوها في الدنيا. وأرض المحشر مستوية تسع جميع المخلوقات: الإنس والجنّ والدواب، ويهيئ الله تعالى فيها أماكن للنعيم أو العذاب لطوائف وأفراد بأعيانهم، فيرفع بعضهم دون سائر الخلائق بكيفية مخصوصة حتى لا يصيبهم الزحام، ولا يجدون الشدّة والتعب الذي يجده أهل الموقف، كالمؤذنين الذين رفعوا ذِكر ربهم في الدنيا، فاليوم يجازيهم سبحانه من جنس عملهم وهو الشكور الودود. ويُنادى على مانع الزكاة الذي لم يكن يؤدّي زكاة ماله فيؤتى به يومئذ في أرض قرقر أكثر استواء، فيُرمى به أرضًا، ثم يؤتى بأنعامه التي لم يكن يؤدي زكاتها فتُسلّط عليه وتطؤه بخفافها وأظلافها وحوافرها، ويحوّل النقد من ماله إلى شُجاع أقرع، وهو حيّة ضخمة قد تمعَّط شعر رأسها لكثرة السمَّ، ثمُ تسلّط عليه فتبدأ بلدغه من شدقيه ثم سائر جسده، ويصفّح ذهبه وفضته في هيئة قطع مستوية ثم يُحمى بها في النار ويُكوى بها وجهه وجنبه وجسده.

وتُجمع الوحوش والحيوانات ليوم عظيم يقتص الله تعالى من بعضها لبعض، على مسمع ومشهد من الإنس والجنّ، ليرى العباد كمال عدله سبحانه، حتى إنّه ليؤتى بالجلحاء التي لا قرن لها من الدواب فيجعل الله لها قرونًا، ويأمرها بنطح من ظلمها من الشاء والبقر القرناء التي عدت عليها وكانت تنطحها في الدنيا، ثم يقول لها بعد ذلك القصاص: كوني ترابا.

وعلى هذا يسير الجزاء في اليوم الطويل الذي لا تُغادَر فيه صغيرةٌ ولا كبيرة، ولا يُظلم فيه أحد.

ويشتدّ غضب الرّب جلّ جلاله في هذا اليوم، حتى يهاب المقرّبون من الحديث بين يديه، وتظهر علامات الشقاوة والسعادة، والفرحة والندامة، والترقب والذهول على أهل الموقف، منذ خروجهم من قبورهم إلى أن يؤمر بهم إلى الجنة أو النّار، ومَردّ أحوال الخلائق يومئذ إلى ثلاثة كبرى، هي:

١ - حال الفزع والهلع التي تصيب الخلائق كلهم عند البعث، وبعد القيام على أرض المحشر. وهذه الحال يصحبها الترقب والذهول والرّهبة، وبخاصة عند مشاهدة الملائكة والجنّ، ورؤية المناظر المفزعة على الأرض الجديدة، وبسببها ﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾[عبس: ٣٤- ٣٦].

٢ - حال الذُلّ والهوان التي يُعرف بها المجرمون الأشقياء، وتتمثل في الخوف والندامة، وحصول الشدة والكرب وسوء المنقلب. وهي حال لا تخفى على أحد؛ فوجوه الأشقياء ﴿يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾، ويُحشر الواحد منهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[طه: ١٢٤ - ١٢٦].

٣ - حال الرضى والسعادة التي يُعرف بها المؤمنون، ويغلب عليها الضياء والنّور، والفرحة والسرور، والاطمئنان والسعادة. لا يخاف أحدهم في ذلك اليوم ﴿ظُلْمًا﴾ أي: زيادة في سيئاته، ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ أي: نقصاً من حسناته، بل تُغفر ذنوبُه، وتطهّر عيوبُه، وتضاعف حسناته[1].

---

[1] تفسير السعدي، (ص: ٥١٤).

وبين الفريقين من التفاوت ما لا يخفى على أهل ذلك الموقف، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود: ١٠٥ - ١٠٨]. وشتّان بين حال المتقين السعداء وحال المجرمين الأشقياء، بين من ﴿يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ﴾ ومن ﴿يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، وبين من يُحشر ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ ومن يُساق ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾.

أولاً: مشاهد من أحوال السعداء يوم القيامة

في يوم القيامة تظهر كرامة المؤمنين؛ فهو محطّ رحالهم في آخر منزلة من منازل التعب والعناء الذي مرّ بهم في الدنيا، وفيه تتجلّى رحمة ربّهم الذي وعدهم أن يُكفّر سيئاتهم، ويُدخلهم ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾[التحريم: ٨].

والسعداء يوم الفزع الأكبر: آمنون في كنف ربهم وخالقهم، مُكرمون لا ينالهم الخزي ولا هم يحزنون.. النور يسعى بين أيديهم، والكرامة تحفّ بهم، والملائكة تتلقاهم بالوفادة والترحيب في كلّ مكان: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم: ٨].

وفي عرصات القيامة تظهر حقيقة الكرامة. ولا كرامة يومئذ تفوق كرامة محمد ﷺ وأمّته؛ فمنهم السعداء والشفعاء، والصالحون والصديقون والشهداء، ويكثر منهم المستظلّون في ظل الله تعالى، ويردون

على حوض نبيهم ﷺ، بينما تقف الملائكة صفوفًا يذودون غيرهم عن الشرب منه، كما تُذاد الإبل الغريبة الجرباء عن موارد الماء في الدنيا.

وعندما يُنصب الصراط وتجثم الظلمة ﴿تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ كُلما أقبل منهم وفدٌ مكرمون نادتهم الملائكة المقربون مهنّئة بسعادة الأبد، ودار الخلود: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وشفاعة الشافعين تُدرِك أفراد هذه الأمّة أكثر من غيرهم، فعن عبدالله بن شقيق قال: كنتُ مع رهط بإيلياء فقال رجل منهم: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «يدخلُ الجنّة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بنى تميم»، قيل: يا رسول الله، سواك؟ قال: «سواي»[1].

والسعداء يُعرفون بين أهل الموقف بأحوالهم، كما عُرفوا في الدنيا بأعمالهم وأقوالهم؛ فوجوههم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾، والموحّدون من سائر الأمم سعداء مُكرمون، والله تعالى يشملهم برحمته. وشفاعته جلّ جلاله أعظم وأكرم من شفاعة الشافعين من عباده. عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «وعدني ربّي سبحانه أن يُدخل الجنّة من أمّتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألفٍ سبعون ألفًا، وثلاثُ حثياتٍ من حثياتِ ربّي عزّ وجلّ»[2].

---

[1] أخرجه الترمذي، وصححه الألباني (٤/ ٦٢٦).

[2] أخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني (١/ ٦٥).

والسابقون بالخيرات يبعثهم الله سبحانه على أحوالٍ وأعمال وهيئات حسنة، يعرفهم بها أهل الموقف، ويتلقاهم بمغفرة ذنوبهم على كنف الستر والنجوى؛ فيعرض عليهم أعمالهم ويعاتبهم على تفريطهم في أعمال صالحة لم يقوموا بها، أو انتهاكهم لمحارم لم يكن لهم أن ينتهكوها. ولأنهم قد سبقت لهم السعادة من ربّهم فإنّهم لا يُحاسبون كسائر الأشقياء المعذّبين بل يُقررون بذنوبهم ثم يغفرها الله تعالى لهم. عن صفوان بن محرز المازني قال: بينما أنا أمشي مع بن عمر ﵁، آخذ بيده، إذ عرض رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله يُدني المؤمن، فيضع عليه كنَفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربّ. حتى إذا قرّره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته، وأمّا الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»[1]. وعن أبي ذرّ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنّة دخولاً الجنّة، وآخر أهل النّار خروجاً منها. رجل يُؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها. فتُعرض عليه صغار ذنوبه. فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا. وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا. فيقول: نعم، لا يستطيع أن يُنكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه. فيقال له: فإنّ لك مكان كلّ سيئة حسنة، فيقول: ربّ

(١) متفق عليه.

قد عملت أشياء لا أراها ها هنا. فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»[1].

ومن المشاهد السعيدة في هذا اليوم: مشهد المؤمنين والنور يحيط بهم من كل جانب بسبب أعمالهم الصالحة. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[الحديد: ١٢].

ومن المشاهد المحبّبة يوم القيامة: مشهد طائفة من المؤمنين بلباس الإحرام الذي ماتوا فيه، وهم يلبّون ويكبّرون كما كانوا في الدنيا قبل موتهم. ومنها منظر الشهداء في سبيل الله تعالى وهم مضرّجون[2] بدمائهم التي ماتوا بها في الدنيا، تثعُب كما لو أنهم أصيبوا بها في ذلك اليوم، وروائح المسك الخالص تعبق منهم.

ومن المشاهد السعيدة يومئذ مشهد الغُرّ المحجّلين من أثر الوضوء الذي كانوا يحافظون عليه في الدنيا. والغرّة: بياض يظهر في الجبهة، والتحجيل: بياض يظهر في القدمين والرجلين. والمؤذنون يوم القيامة من السعداء المكرمين؛ يرفعهم الله تعالى فوق مستوى الناس، فلا يصيبهم ما يصيب الخلائق يومئذ من الكرب، والزحام، وشدّة الحرّ.

ومشهد أهل القرآن العاملين به من المشاهد المحببة في ذلك اليوم، حيث يبعث الله تعالى فوق رؤوسهم سورتي البقرة وآل عمران كأنهما

---

(١) صحيح مسلم، (١/ ١٧٧).

٢() المضرّج بالشيء: ملطّخ به. (النهاية لابن الأثير، ٣/ ١٧٠).

غمامتان تظلّانهم من حرّ الشمس، وطوائف أخرى من السعداء يُدعون ليستظلوا من حرّ الشمس في ظل الله تعالى، بينما الناس من حولهم يصطلون بوهجها، والعرق يفيض من أجسادهم، ويصيبهم من الحرّ وشدّة الكرب بحسب أعمالهم.

ومشهد السعداء وهم يركضون فرحين بعد أن أخذوا للتوّ كُتُبهم بأيمانهم مشهد سعيد محبّب يوم القيامة؛ فها هم يتجهون إلى أهليهم يبشرونهم بسعادة الأبد، وتباشير السعادة والرضا على وجوههم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق). وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[الحاقة: ٧ – ٢١].

ثانياً: مشاهد من أحوال الأشقياء يوم القيامة

يوم القيامة يوم الحسرة والندامة للمجرمين، وبداية الشقاء الأبدي الذي لا سعادة معه، والهوان الذي لا كرامة بعده. ومآل الأشقياء يومئذ مقرون بالأحوال السيئة، والمناظر المفزعة التي تكون لهم جراء أعمالهم في الدنيا. والملائكة يتلقّونهم بالتهديد والإذلال.. من سكرات الموت، وحتى يقذفونهم في السعير. فلو ترى ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، ولو ترى اضطراب المجرمين ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ الملائكة تدفعهم إليها دفعاً، وتسوقهم إليها سوقا عنيفاً، وتجرّهم على وجوههم، وتقول لهم توبيخاً ولوماً: ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

١) أحوال يقترن معها عذاب الأشقياء يوم القيامة:

أحوال الأشقياء يوم القيامة مقرونة بألوان من النكال والعذاب الذي يظهر في هيئاتهم، وأعمالهم، وأشدّ هذه الأحوال: الخزي، والإهانة، والحسرة، والمقت، وذلك كما يلي.

أ- الخزي:

الخزي أظهر سمة تلحق بالأشقياء في ذلك اليوم العظيم. وأعظم الخزي ما يحدث حين يفضحهم الله تعالى أمام الخلائق، ويهينهم على رؤوس الأشهاد بسوء أعمالهم. والخزي الذي يلحق بالأشقياء يوم القيامة مقرون بالسوء الذي ينالهم، سوء جراء ما يسمعون، وسوء بسبب ما يبصرون، وسوء ينالهم بدفع الملائكة وضربهم وتعنيفهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[النحل: ٢٧].

والخزي الذي ينال المجرمين في ذلك اليوم مقرون بانقطاع السند الناصر عنهم، قال الله سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء: ٨٧ - ٨٨]، وهو مقرون بالعذاب المقيم الذي يصيبهم، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[هود: ٣٩].

ب- الإهانة:

الإهانة لا تفارق الأشقياء يوم القيامة ولا تنفك عنهم فإذا قُذفوا في النّار زاد هوانهم واشتدّ عذابهم وتعاقبت عليهم الإهانات تلو الإهانات..

إهانات يسمعونها من خزنة النار، وإهانات من المؤمنين الذين يرونهم ويحاورونهم من مقاعدهم في دار النعيم، وإهانات يسمعونها ممن تسببوا في غوايتهم.

والإهانة تحصل لهم تارة بالقول، وتارة بالفعل، وتارة بهما معـًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[الدخان: ٤٣ – ٤٩].

ت- الحسرة:

لا تفارق الحسراتُ الأشقياءَ لحظة واحدة بعد موتهم، وحال خروجهم من قبورهم، حسرات تصيبهم حين يتذكرون كفرهم وانتهاكهم لحرمات ربهم، وحسرات تبدو لهم حالما يستلمون صحائف أعمالهم، وحسرات تحيط بهم إذا استحضروا مصيرهم، والخسارة الكبرى التي أصابتهم بفقد أهليهم وأولادهم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[الزمر: ١٥]. وتلك الحسرات التي تصيب الأشقياء من الكافرين والمذنبين ظاهرة لا تخفى على أحد من أهل الموقف يومئذ، وتعبّر عنها أحوالهم وأقوالهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[الانشقاق: ١٠ – ١٢]. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾[المؤمنون: ١٠٣ – ١٠٤].

وهناك حسرة عامّة تلازم الخلائق أجمعين، من لحظة خروجهم إلى أرض المحشر، ومنهم المؤمنون الذين يتحسّرون على تفويت الأعمار في غير طاعة الله تعالى، وأنهم لم يزدادوا من الأعمال الصالحة. ولأنها سمة غالبة في يوم القيامة سمّاه الله تعالى ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ لكثرة ما يظهر فيه من الحسرات.

ث- المقت:

المقت شدّة البغض، والكافرون يوم القيامة أذلاء ممقوتون، يمقتهم الله ربّ العالمين، وتمقتهم الملائكة المقربون، ويمقتهم الأنبياء والمرسلون، ويمقتهم عباد الله الصالحين. وحين يرون ما أعدّ الله تعالى لهم من العذاب المهين يمقتون أنفسهم أشد المَقت، وتزداد حسرتهم فيمقتون أحبابهم وأصدقاءهم الذين زيّنوا لهم الباطل، وأغروهم بفعل الفجور، ثم يمقتون جلودهم وأسماعهم وأبصارهم حين تشهد عليهم، والملائكة فوق ذلك تناديهم توبيخًا وتقريعًا: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ أي: لمقت الله لكم أكبر من مقتكم أنفسكم فقد دعاكم إلى الإيمان عن طريق رسله، وأقام لكم البينات على صحة الحق، ولكنكم كفرتم، ورضيتم بالخروج من رحمته الواسعة إلى سخطه وغضبه وعقابه، ولم يزل هذا المقت مستمرًا حتى آلت بكم الحال إلى ما صرتم إليه اليوم.

٢) عداوة الأشقياء وتخاصمهم يوم القيامة.

إذا حُشر الخلائق انقلبت كلّ محبّة كانت بينهم في الدنيا - لم تقم على الإيمان - إلى عداوة، وظهرت بسببها الخصومة بين الأشقياء، فلم تنفعهم قراباتهم، ولا صداقاتهم يومئذ بل تزيدهم إثماً على إثمهم، وعذاباً فوق عذابهم. كما تحدث الخصومة بينهم وبين أعضائهم وحواسّهم التي تشهد عليهم بما كانوا يعملون، وتظهر خصومتهم بجلاء مع من أضلّهم من سادتهم وكبرائهم، وذلك كما يلي[1]:

١- الخصومة بين الأخلاء والأصدقاء من الأشقياء.

إذا كان يوم القيامة تقطعت قرابات الدنيا بين الأشقياء، ولم تنفعهم الصداقات والمودّات التي كانت لغير الله تعالى، بل تنقلب إلى مقت وتلاعن، يدعوا بسببها الصاحب على صاحبه ويتبرأ الخليل من خليله. قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[الزخرف: ٦٧].

ومن الخصومات التي أخبر الله تعالى عنها: خصومة الشقي مع قرينه الشيطاني الذي كان يزيّن له الباطل، ويغريه بارتكاب المنكر. يقول القرين: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ فيردّ عليه ذلك الشقي من بني آدم، ثم يقطع الله خصامهما ويُخرس ألسنتهما: ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ثم يأمر بهما إلى النّار.

١() أفرد عمر الأشقر رحمه الله في (القيامة الكبرى) مبحثاً مهما لتخاصم أهل النار، ذكرت بعضه بتصرف.

وزيادة في النكال والإهانة يأمر الله تعالى بجمع المجرمين مع أشكالهم وأقرانهم: الخليلُ مع خليله، والتابع بمتبوعه، ورئيس الضلالة منهم بمرؤوسه، ثم يأمر ملائكته بأمرين نافذين: سوقوهم سوقًا عنيفًا إلى دار الجحيم، وأوقِفوهم بين يديّ للسؤال قبل أن تقذفوهم فيها. فإذا وقفوا بين يديه سبحانه على حال ذلّهم وضعفهم وهوانهم قال لهم سبحانه موبّخًا ومعنّفًا: ما الذي جرى عليكم اليوم؟ ولماذا لا ينصر بعضكم بعضًا كما كنتم تزعمون في الدنيا، ولا يُغيث بعضكم بعضًا، ولا يدفع بعضكم العذاب عن بعض؟ فإذا سمعوا السؤال علاهم الذلّ والصغار فلا يُجيبون، واستسلموا لخالقهم، مشفقين من مصيرهم. قال الله جلّ شأنه: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٦].

٢ - خصومة الأشقياء مع أعضائهم وحواسّهم!

تحدث الخصومة يوم القيامة بين الأشقياء وبين أعضائهم وحواسّهم التي أنطقها الله تعالى لتشهد عليهم، قال سبحانه: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُجمعون فوجًا فوجًا، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢٠ - ٢١]. وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]. عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك، فقال: «هل تدرون مم أضحك؟» قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربّه، يقول: يا ربِّ ألم

تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإنّي لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيُختم على فيه، فيُقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يُخلّى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بعداً لكنَّ وسحقًا، فعنكنَّ كنتُ أناضل»[1].

وعن أبي هريرة ﵁ في حديث رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وفيه: قال رسول الله ﷺ: «فيلقى اللهُ جلّ جلاله العبدَ، فيقول: أي فُل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخّر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإنّي أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فُل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخّر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس، وتربع، فيقول: بلى، أي رب فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإنّي أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا ربّ آمنتُ بك، وبكتابك، وبرسلك، وصلّيت، وصمتُ، وتصدّقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذاً، قال: ثم يُقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكّر في نفسه: من ذا الذي يشهد عليّ؟ فيختُم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليُعذَر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه»[2].

---

(1) صحيح مسلم، (٤/ ٢٢٨٠).

(2) صحيح مسلم، (٤/ ٢٢٧٩).

٣- خصومة الأشقياء مع معبوداتهم، وأكابر مجرميهم.

كما تشتدّ خصومة الأشقياء يوم القيامة للطواغيت وأكابر المجرمين الذين أضلّوهم ويسّروا لهم سبيل المنكرات، وزيّنوا لهم اقتراف السيئات، وكفّوا عنهم أيدي المصلحين، وحقّروا في أعينهم سبيل المؤمنين، فهم يظهرون لهم المقت ويعجبون كيف فقدوا عقولهم بتصديق أكاذيب هؤلاء السادة والأكابر وافتراءاتهم، وكيف فقدوا دينهم باتباع باطلهم وضلالاتهم. وقد أخبر الله تعالى أنهم لشدّة بغضهم يسألونه أن يضاعف لهم العذاب، يقولون والحسرة تقّطع قلوبهم: ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾[الأحزاب: ٦٦ - ٦٨]. وفوق مضاعفة العذاب يطلب هؤلاء الأشقياء أمنية أخرى من ربهم، حيث يسألونه أن يُريهم إياهم ليدوسوهم بأقدامهم، يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾.

وفي ذلك اليوم يتهم الأشقياءُ الأنبياءَ، والصالحين، والملائكةَ المقربين بأنهم سبب غوايتهم، يقولون: ربّنا هؤلاء الملائكة والأنبياء الذين عبدناهم سبب ضلالنا وغوايتنا. عندها يأمر الحق جل جلاله بإحضار هؤلاء المتبوعين من عباده الصالحين: ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾ أي: بائرين لا خير فيهم ولا صلاح، بل حقّهم الهلاك والبوار جزاء لهوهم ولعبهم في الدنيا

الذي صرفهم عن الهدى. وهنا يخاطب الله سبحانه أولئك الأشقياء معنّفـاً وموبخـاً ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[الفرقان: ١٩].

ومَن كفر من النصارى داخل في زمرة الأشقياء أصحاب الأعذار الواهية، فبعد أن يُقرَّرهم سبحانه بذنوبهم، ويحقّ عليهم عذابُ ربهم يسارعون في إلقاء التهمة على عيسى عليه الصلاة والسلام وأمّه، فيُحضر الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام أمامهم، ثم يقول له: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٦ – ١١٨].

٤ - خصومة الشيطان مع الأشقياء، وتبرؤه منهم!

ومن أعجب صور الخصومة والجدال يوم القيامة ما يحدث على شفير جهنّم بين الشيطان ومن تبعه من الأشقياء، قال الله تعالى مجلّياً حقيقة ما يحدث بينهم في ذلك المكان: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وهذا الحوار غاية في الصراحة والوضوح من هذا الكذاب اللعين؛ فمع أنه سبب كلّ شرّ وقع في العالم إلا أنه يقف في هذا اليوم خطيبـًا، متبرئـا من جموع الأشقياء الذين اتبعوه قبل أن يُقذف بهم جميعـًا في النار، يقول: لقد وعدكم ربّكم الحقَّ على ألسنة رسله فلم تطيعوه، ووعدتكم الوعود الكاذبة، ومنّيتكم الأماني الباطلة فأطعتموني. ولو كنتم تعقلون لأدركتم أنّ الفوز العظيم في طاعة ربّكم، وأنّي ضعيف مثلكم، لا أملك حجة ولا برهان، ولن يحصل شيء مما وعدتكم، ولا سلطان لي عليكم إلا أنّي دعوتكم لغوايتكم فاستجبتم لي؛ اتباعا لأهوائكم وشهواتكم، ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ فما أنا اليوم بقادر على أن أغيثكم من العذاب أو أنصركم، ولا أنتم قادرون على إغاثتي ونصرتي، ولكني أبرأ إلى الله منكم حين جعلتموني شريكـًا معه، وأطعتموني في معصيته ومخالفة أمره[1].

٣) مشاهد مفزعة للأشقياء يوم القيامة.

يُعرف الأشقياء يوم القيامة بألوان وجوههم المسودّة الزرقاء التي تعلوها الغبرة ويكسوها الجهد والعناء والتعب، ويؤخذ بهم من بين الخلائق إلى النار، قال الله جلّ شأنه: ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ﴾[الرحمن: ٤١].

١() بتصرف من تفسير السعدي، (ص: ٤٢٤).

١ - أشقياء يُحشرون بألوان مُخيفة مُفزعة:

أخبر الله تعالى عن ألوان وجوه الكفار المُفزعة الزرقاء وتلك التي تحولت إلى السواد الحالك فقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[طه: ١٠٢]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[الزمر: ٦٠].

وهذه الوجوه المسودّة المظلمة يعلوها الذُلّ والهوان كذلك، وتغشاها قترة بعدما عرفت شقاءها وهلاكها وأيست من كل خير، بخلاف وجوه السعداء التي ظهر فيها السرور والبهجة بعدما بُشّرت بنجاتها وفوزها بالنعيم المقيم، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾[عبس: ٣٨ - ٤٢].

٢ - أشقياء يُبعثون بأجساد وأردية مخيفة:

ومن الأشقياء من يُبعث بأجساد مخيفة، قد نُزع اللحم من وجوهها حتى أصبحت هياكل عظمية مروّعة تتكلم وتسمع وتفهم. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّه سمع أباه يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُزعَة لحم»[١].

ومن مشاهد الفزع في ذلك اليوم منظر نساء عليهن أردية كريهة الرائحة بشعة المنظر، يلبسن سرابيل من قطران أسود ودروع من جرب جزاء ما كنّ يقمن به في الدنيا من النياحة ورفع الصوت على الميت. عن أبي مالك

(١) متفق عليه.

الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال ﷺ: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جَرَب»[1].

٣- أشقياء يُحشرون على وجوههم:

ومن الأشقياء من يحشره الله تعالى يومئذ على وجهه إذلالاً وتحقيراً جزاء ما عمل في الدنيا. وزيادة في إهانته يُحشر أعمى لا يبصر، وأصمّ لا يسمع، وأبكم لا يتكلم، عياذاً بالله تعالى، قال جل جلاله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟»[2]. قال قتادة: بلى وعزّة ربّنا.

٤- أشقياء يخرجون من قبورهم كالمجانين:

ومن الأشقياء في ذلك اليوم من يخرج من قبره خروجاً منكراً حيث يقوم مترنّحاً كما يترنّح المجانين، يقبض على حنجرته كأن شيئاً يخنقه ويسدّ عنه مجرى النَّفَس، فإذا توغّل في صفوف الخلائق على هذه الحال المنكرة ناداه مناد من السماء: أن خذ سلاحك وتعال لمحاربة الله تعالى!

١() صحيح مسلم، (٢/ ٦٤٤).

(٢) متفق عليه.

وهذا الصنف من الأشقياء التعساء هم أكلَة الربا الذين لم يكونوا يتورّعون عن معاملاته، ولم يكن همّهم سوى جمع المال والاستكثار منه بأي وجه، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية قال: يُبعث آكلُ الربا يوم القيامة مجنوناً يُخنق، وذلك حين يبعث من قبره[1]. وعنه رضي الله عنه قال: يُقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب. وقرأ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[2].

٥- أشقياء يُبعثون يوم القيامة بأحجام صغيرة جداً:

ومن المناظر المُفزعة يوم القيامة منظر صنف من الأشقياء بكامل هيئاتهم وأشكالهم الآدمية لكن بأحجام صغيرة جداً، إهانة لهم، حتى إنهم ليتحاشون الناس كيلا يطؤوهم، والناس مع شدّة الزّحام لا يشعرون بهم، ولا يتحرزون منهم، بل يطؤوهم بأقدامهم. عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشرُ المتكبّرون يوم القيامة أمثال الذّرّ في صور الرجال، يغشاهم الذُلّ من كل مكان، فيُساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يُسقون من عُصارة أهل النّار، طينة الخبال»[3].

---

(١) تفسير الطبري، (٦/ ٩)، وتفسير ابن أبي حاتم، (٢/ ٥٤٤).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم، (٢/ ٥٥٠).
٣() أخرجه الترمذي، وصححه الألباني، (٤/ ٦٥٥).

٦ - أشقياء في أعناقهم السلاسل يُجَرّون به:

ومن المناظر المفزعة يوم القيامة منظر الأشقياء وهم مغطّون بالأغلال وسلاسل الحديد من أعناقهم إلى أقدامهم. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾[غافر: ٦٩ - ٧٢].

فالأغلال في أعناقهم والسلاسل متصلة بالأغلال وهي بأيدي الزبانية يسحبونهم بها على وجوههم، تارة يسحبونهم في الحميم، وتارة يسجرونهم في الجحيم. والجزاء من جنس العمل، فكما غطّوا عقولهم عن النظر في آيات الله تعالى، وصمّوا آذانهم عن سماع الحق، وانطلق بهم شياطينهم منادين بحريتهم لنيل شهواتهم وأهواءهم، يطلبونها من كل مكان؛ فاليوم تُوضع الأغلال في أعناقهم، فلا يستطيعون معها حركة، ويُقرنون بالسلاسل هم وشياطينهم، ثم يُسحبون في حميم جهنّم، وهو الماء الذي اشتد غليانه وحره. ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ أي: يوقد عليهم اللهب العظيم، فيُصلون بها، ثم يوبّخون على شركهم وكذبهم[1]. وطول السلسلة الواحدة من سلاسل جهنم سبعون ذراعـًا كما أخبر الله تعالى.

٧ - أشقياء تنطق أعضاؤهم لتشهد عليهم:

ومن المناظر المفزعة يوم القيامة ما يحدث للأشقياء المعاندين من خرس ألسنتهم ونطق أيديهم وأرجلهم وأعضائهم بما كسبوا من الجرائم

١() بتصرف من تفسير السعدي، (ص: ٧٤٢).

الدنيوية، ومخاصمتهم إياهم. قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[يس: ٦٥]. وقال سبحانه: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[النور: ٢٤].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: «هل تدرون مم أضحك؟» قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربّه، يقول: يا ربِّ ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإنّي لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيُختم على فيه، فيُقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يُخلّى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بعداً لكنَّ وسحقًا، فعنكنَّ كنتُ أناضل»[1].

٨ - أشقياء يُلجمون بألجمة من نار:

ومن مشاهد القيامة المفزعة مشهد أشقياء قد ألجمتهم الملائكة بألجمة على وجوههم كدوابّ الدنيا؛ إهانة لهم وتحقيراً لشأنهم، ولكنّها ألجمة من نار تَوَقّد، فتوضع على وجوههم فلا يقدرون على الصياح، ويجتمع لهم العذاب بالمهانة والخزي، وهؤلاء هم الذين حُمّلوا العلم في الدنيا وعرفهم الناس به ولكنهم لم ينتفعوا به، ولم ينفعوا به غيرهم، وآثروا مصلحة أنفسهم، فأكلوا بالعلم واستكثروا به من الدنيا، وحرّفوه أو كتموه ولم يبلّغوه، وغرّتهم الألقاب التي تُخلع عليهم، والشهرة التي آلت إليهم، فصار حالهم يومَ القيامة كحال دوابّ السوء التي يُلجمها صاحبها حتى لا تأكل ما

١() صحيح مسلم، (٤/ ٢٢٨٠).

يضرّها ويتسبب في هلكتها. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سُئل عن علمٍ ثم كتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار»[1].

٩ - أشقياء تلدغهم الأفاعي، ويُكوون بالنار:

ومن مشاهد القيامة المفزعة ما يحدث لطائفة من الأشقياء الذين لم يكونوا يؤدّون زكاة أموالهم ويحتالون عليها، ولا يُعطوها لمستحقّيها فيهيئ الله تعالى لهم قاعًا قرقراً أي: مستويًا، ثم يُسلّط عليهم أموالهم فتتحول إلى ثعابين سامّة قُرع تلدغهم، وتُصفّح لهم فضّتهم وذهبهم صفائح ثم تُحمى من النار وتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، وتُرسَل عليهم أنعامهم لتطَأهم بخفافها وأظلافها وحوافرها حتى يفرغ الناس من الحساب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له ماله شجاعًا أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه – يعني بشدقيه – يقول: أنا مالك أنا كنزك » ثم تلا ﷺ هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾»[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقّها، إلا جاءت يوم القيامة أكثرَ ما كانت قط،

---

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني، (٥/ ٢٩).

(٢) صحيح البخاري، (٦/ ٣٩).

وقُعِد لها بقاع قرقر تستنّ عليه بقوائمها وأخفافها، ولا صاحب بقر، لا يفعل فيها حقّها، إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت، وقُعد لها بقاعٍ قرقر تنطحه بقرونها، وتطؤه بقوائمها، ولا صاحب غنم، لا يفعل فيها حقّها، إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت، وقُعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، ليس فيها جمّاء - أي: لا قرن لها - ولا منكسر قرنها، ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقّه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع، يتبعه فاتحًا فاه، فإذا أتاه فرّ منه، فيناديه: خذ كنزك الذي خبّأته، فأنا عنه غني، فإذا رأى أن لا بد منه، سلك يده في فيه، فيقضمها قضم الفحل». وقال أبو الزبير: سمعت عبيد بن عمير يقول: قال رجل: يا رسول الله، ما حقّ الإبل؟ قال: «حلبُها على الماء، وإعارة دلوها، وإعارة فحلها، ومنيحتها وحملٌ عليها في سبيل الله»[1].

١٠ - أشقياء تائهون.. يتخبّطون في الظلمات:

ومن مشاهد الخزي والإهانة ما أعدّه الله تعالى للمنافقين والمنافقات؛ حيث يُحشرون متخبّطين في الظلمات والتيه، جزاء ما كانوا يسخرون من المؤمنين، ويعارضون حكم الله تعالى بحكم غيره، ويُفسدون بدعوى الإصلاح، ويُضلّون الناس عن سبيل ربّهم، ويفخرون باتباع الكافرين والاقتداء بهم، فاليوم يعاملهم الله بنقيض زعمهم فيحشرهم في ظلماتهم، تائهين لا يدرون أين يسيرون، ولا أين يتجهون، ومن شدّة ضلالهم يُنادون المؤمنين الذين كانوا معهم في الدنيا ويستغيثون بهم: ﴿يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ

(١) صحيح مسلم، (٢ ٦٨٤).

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[الحديد: ١٣ – ١٤]. وأصبح حالهم في ذلك اليوم واقعاً كما أخبر عنهم ربّهم وضرب لهم مثلاً بقوله جلّ شأنه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[البقرة: ١٧ – ١٨].

١١ - هلع الأشقياء حال رؤية النار وسماع صوتها:

مما امتازت به نار الآخرة عن نار الدنيا بالإضافة لشدّة لهيبها أن الله سبحانه جعل لها خصائص فريدة وعجيبة، منها قدرتها على التحدث والتفاعل مع ما يحيط بها بخلاف نار الدنيا الصمّاء التي لا تدري ما حولها ولا بما يُقذف فيها.

وقد أخبر جلّ جلاله بأنّ النار تغضب لغضبه، ويشتدّ غيظها وحنقها على أعدائه من الكافرين والمنافقين والعصاة الذين جعلهم وقُودَها، وفطرها على بُغضهم والشوق لحرق المزيد منهم وتعذيبهم. كما أخبر سبحانه بأنّ لها ثورةٌ مفزعة وصوت مخيف حال رؤيتها لهؤلاء الأشقياء مسارعة إلى إحراقهم وعدم تفويتهم، وحالما تشعر بوجودهم وتراهم من مكان بعيد قبل وصولهم إليها ووصولها إليهم يزاد لهبها، ويسمعون لها صوتاً منكراً يُقلق أفئدتهم وتتصدع له قلوبهم، ويكاد الواحد منهم يموت خوفاً وهلعاً لمجرد رؤيتها وسماع صوتها!

١٢ - أشقياء يقضمون أيديهم من شدّة الأسف:

ومن المناظر المفزعة التي أخبر الله تعالى عنها مصوراً حال الأشقياء في تلك اللحظة الرهيبة منظرهم وهم يعضّون على أيديهم ويدخلونها في أفواههم لشدة الندم عمّا سلف من أعمالهم والهلع من رؤية مصيرهم وسماع النّار وهي تتوعّدهم من بعيد، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

كما أخبر سبحانه أنّ ذلك الأسف والهلع يحدث جراء رؤية النار وسماع صوتها، قال سبحانه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١١ - ١٤]. فهم في هذا المشهد القرآني مجموعون في مكان ضيق مزدحم، ويؤتى بهم مقرّنين بالسلاسل والأغلال، فإذا وصلوا إلى قرب النّار ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ أي: دعوا على أنفسهم بالثبور والخزي والفضيحة وعلموا أنهم ظالمون معتدون، ولا ينفعهم دعاء الاستغاثة هذا ولا يغني عنهم من عذاب الله شيئاً، ولذا يُقال لهم على سبيل التهكم والسخرية: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾، أي: لو زاد صراخكم ودعاؤكم على أنفسكم بالويل والهلاك أضعافاً مضاعفة فإنّه لا ينفعكم ولا يفيدكم إلى إلا الهم والغم والحزن.

١٣ - أشقياء يرتفع بكاؤهم، ويدعون على أنفسهم:

ومن المناظر المفزعة في ذلك اليوم منظر الأشقياء وهم يرفعون أصواتهم بالبكاء والعويل والدعاء على أنفسهم بالويل والثبور، وبخاصة

بعد ظهور النتيجة واستلام صحائف أعمالهم بشمائلهم. ومن شدّة المصيبة والفزع يركض أحدهم وكتابه بشماله، وهو يصرخ ويقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[الحاقة: ٢٥ – ٢٩].

p p p

المحطة الرابعة:

الأعمال

أعمال اقترنت بها سعادة المتقين، وشقاوة المجرمين يوم القيامة

الأعمال

بركة الأعمال الصالحة تظهر على أصحابها في يوم الفصل، وكذلك الخزي والنكال الذي يجري على الأشقياء؛ فاليوم لا تجزي ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾. ولا يحمل حبيب وزر حبيبه، بل يفرّ عنه. والميزان يومئذ الحق، والأعمال توزن لأصحابها، وتوفّى ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. ومن عمل مثال ذرة من الخير وجده يوم القيامة، وكذلك من عمل مثقال ذرة من الشر، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

والأعمال الصالحة سبب الرفعة والتكريم في دار النعيم، قال الله تعالى عن السعداء في دار النعيم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وتشتد حسرة الأشقياء في المقابل على التفريط في الأعمال الصالحات، ويندمون على ترك الطاعات، وتفويت الصلوات، وعدم الإحسان إلى الخلق، ويؤكدون بأنها من أسباب عقوبتهم، مع ما كانوا يقترفون من السيئات، قال الله تعالى عن إجابتهم سؤال المؤمنين عما سلكهم في سقر: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدَّثر: ٤٣ - ٤٧].

أولاً: أعمال اقترنت بها سعادة المتقين

لا تُنال الجنّة بالأماني الكاذبة، والدعاوى الباطلة، وإنّما بالتنافس على الأعمال الصالحة، والتقرّب إلى الله تعالى بما افترض على عباده. وسعادة المتقين وفرحتهم الكبرى على أرض المحشر وردت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مقترنة بأعمال صالحة كانوا يحافظون عليها، ووجدوا أثرها وبركتها في هذا اليوم العظيم، ومنها:

١- سعادة هذه الأمة بمجموعها يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أوّل من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له، فاليوم لنا، وغدا لليهود، وبعد غد للنصارى»[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيقول: لبّيك وسعديك يا ربّ. فيقول: (هل بلّغت؟) فيقول: نعم. فيُقال لأمته: (هل بلّغكم؟) فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: (من يشهد لك؟) فيقول: محمّد وأمّته. فيشهدون أنه قد بلّغ. فذلك قوله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾»[(٢)].

١() متفق عليه.

٢() صحيح البخاري، (٦/ ٢١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسّماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي آنفاً سورة فقرأ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾، ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنّه نهر وعَدَنيه ربي عزّ وجلّ، عليه خير كثير. هو حوضٌ تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيُختَلج العبد منهم فأقول: ربّ إنّه من أمتي. فيقول: ما تدري ما أحدثوا بعدك»[1].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإنّ فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»[2].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حوضي مسيرة شهر. ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء. من شرب منها فلا يظمأ أبدا»[3].

٢ - الموحّدون سعداء يوم القيامة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناساً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «نعم، هل تضارّون في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوءٌ ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا. قال: «وهل تضارّون في رؤية

١() صحيح مسلم، (١/ ٣٠٠).

٢() متفق عليه.

٣() متفق عليه. والكيزان: جمع كوز، وهو إناء بعروة، يُشرب فيه الماء.

القمر ليلة البدر، ضوءٌ ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا: قال النبي ﷺ: «ما تضارّون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تضارّون في رؤية أحدهما. إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذّن: تتبع كلّ أمة ما كانت تعبد. فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله بَرّ أو فاجر، وغَبَرات أهل الكتاب، فيُدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنّا نعبد عزيرَ ابن الله. فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا، فاسقنا. فيُشار: ألا تَرِدون؟ فيُحشرون إلى النار، كأنّها سراب يحطم بعضها بعضا. فيتساقطون في النار. ثم يُدعى النصارى فيُقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنّا نعبد المسيح بن الله. فيُقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله، من بَرّ أو فاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد. فيقول: أنا ربكم، فيقولون: لا نشرك بالله شيئًا، مرتين أو ثلاثًا»[1].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج من النّار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان»[2].

١() متفق عليه.

(٢) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني (صحيح الجامع، ح٨٠٦٢).

وعن أنس رضي الله عنه في حديث الشفاعة العظيم، وفيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فيأتونني فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمَده بتلك المحامد، وأخِرّ له ساجداً فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تُعط، واشفع تشّفع. فأقول: يا ربِ أمّتي، أمّتي. فيقال: انطلق فأخرج منها ـ أي النار ـ من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل. ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخرّ له ساجداً فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفّع فأقول: يا رب، أمّتي أمّتي. فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان. فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تُعط، واشفع تشفّع. فأقول: يا رب أمّتي أمّتي. فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار. فأنطلق فأفعل. ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفّع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله. فيقول: وعزّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنّ منها من قال لا إله إلا الله»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في خبر رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم: «تبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم. فيقولون: هذا

١() صحيح البخاري، (٩/ ١٤٧).

مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا. فيدعوهم فيُضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أوّل من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل. وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم... حتى إذا أراد الله رحمةَ من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يُخرجوا من كان يعبد الله، فيُخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود. وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيُخرَجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتُحِشوا - أي احترقت جلودهم - فيُصب عليهم ماء الحياة فينبُتون كما تنبت الحبّة في حميل السيل. ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل النار دخولا الجنة، مقبلٌ بوجهه قِبَل النار فيقول: يا ربّ اصرف وجهي عن النار، قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها. فيقول: هل عسيت إن فُعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك. فيُعطي اللهَ ما يشاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار. فإذا أقبل به على الجنّة ورأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب قدّمني عند باب الجنة. فيقول الله له: أليس قد أعطيتَ العهود والميثاق ألا تسأل غير الذي كنت سألت؟ فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك، فيقول: فما عسيت إن أُعطيتَ ذلك ألا تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزّتك، لا أسأل غير ذلك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدّمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها، فرأى زهرتها، وما فيها من النضرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب أدخلني الجنة، فيقول الله: ويحك يا ابن آدم، ما أغدرك، أليس قد أعطيت العهود والميثاق، ألا تسأل

غير الذي أعطيت؟ فيقول: يا ربّ لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله عزّ وجلّ منه، ثم يأذن له في دخول الجنة، فيقول: تمنّ. فيتمنّى، حتى إذا انقطعت أمنيته، قال الله عز وجل: زِد من كذا وكذا، أقبل يذكّره ربّه، حتى إذا انتهت به الأماني، قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه، وعشرة أمثاله»[1].

وفي صحيح مسلم، قال ﷺ: «فيدخل الجنة فيجد الناس قد نزلوا المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم. فيقال له: تمنّ. فيتمنّى، فيقال له: لك الذي تمنيت، وعشرة أضعاف الدنيا. قال: فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟ قال فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه»[2].

٣ - سعادة أهل القرآن العاملين به يوم القيامة.

عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران، فإنّهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فِرقان من طير صواف، تحاجّان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»[3].

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدّمه سورة البقرة وآل

١() صحيح البخاري، (١/ ١٦١).

٢() صحيح مسلم، (١/ ١٧٤).

٣() صحيح مسلم، (١/ ٥٥٣). والبطلة: السحرة.

عمران». وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «كأنهما غمامتان، أو ظُلّتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنّهما حِزقان من طير صوافّ تحاجّان عن صاحبهما»[1].

٤- الشهداء في سبيل الله تعالى سعداء يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يُكلَم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة، وجرحه يثعب، اللون لون الدم، والريح ريح مسك»[2].

٥- سعادة المؤذنين يوم القيامة.

عن أبي صعصعة الأنصاري أنّ سعيد الخدري رضي الله عنه قال له: «إنّي أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك وباديتك، فأذّنت بالصلاة، فارفع صوتك بالنداء، فإنه «لا يسمع مدى صوت المؤذن جنّ ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»[3].

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة»[4].

١() صحيح مسلم، (١/ ٥٥٤).

٢() متفق عليه.

٣() صحيح البخاري، (٤/ ١٢٧).

٤() صحيح مسلم، (١/ ٢٩٠). واختلف السلف والخلف في معناه فقيل: معناه أكثر النّاس تشوّفـًا إلى رحمة الله تعالى لأن المتشوّف يُطيل عنقه إلى ما =

ولا يبعد أن تكون هذه الرّفعة على المنابر التي أخبر النبي ﷺ عنها بقوله: «إنّ المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عزّ وجلّ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[1].

٦ - المتوضئون سعداء مُكرمون.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون. وددت أنّا قد رأينا إخواننا». قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد». فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمّتك يا رسول الله؟ فقال: «أرأيتم لو أنّ رجلاً له خيل غُرّ محجّلة بين ظهري خيل دهم بُهم، ألا يعرف خيله؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «فإنّهم يأتون غُرّاً محجّلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض»[2].

يُتطلّع إليه، فمعناه كثرة ما يرونه من الثواب. وقال النضر بن شميل إذا ألجمَ الناسَ العرقُ يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق. وقيل: معناه أنّهم سادة ورؤساء يومئذ، والعرب تصف السّادة بطول العنق. وقيل: معناه أكثر أتباعـًا. وقال بن الأعرابي: معناه أكثر الناس أعمالاً وقال القاضي عياض وغيره: ورواه بعضهم (إعناقـًا) بكسر الهمزة أي إسراعـًا إلى الجنة، وهو من سير العَنَق. (شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٩١).

١() صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، (٣/ ١٤٥٨).

٢() صحيح مسلم، (١/ ٢١٨).

وعن نعيم بن عبد الله المجمر قال: «رأيت أبا هريرة ﵁ يتوضأ، فغسل وجهه، فأسبغ الوضوء، ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد، ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وقال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم الغرّ المحجّلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء»، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله»[1]. وعنه ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنّ أمّتي يُدعون يوم القيامة غُرّاً محجّلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»[2]. وفي رواية: قال ﷺ: «أنتم الغُرُّ المُحجّلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله»[3].

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشدّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، ولآنيته أكثر من عدد النجوم. وإني لأصدّ الناس عنه كما يصدّ الرجل إبل الناس عن حوضه». قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تَرِدون علي غُرّاً محجلين من أثر الوضوء»[4].

١() صحيح مسلم، (١/ ٢١٦).

٢() متفق عليه.

٣() صحيح مسلم، (١/ ٢١٦).

٤() صحيح مسلم، (١/ ٢١٧).

٧ - من شاب شيبة في الإسلام أسعده الله تعالى.

عن عمرو بن عبسة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شاب شيبة في سبيل الله تعالى كانت له نوراً يوم القيامة»(١).

٨ - سعادة السبعة الذين يظلّهم الله في ظلّه.

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «سبعة يُظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه: الإمام العادل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه معلّق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»(٢).

٩ - سعادة المحافظين على صلاتهم.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵁ عن النبي ﷺ أنّه ذكر الصلاة يومًا فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبي بن خلف»(٣).

عن أبي قتادة بن ربعي ﵁ أنّ رسول الله ﷺ قال: قال الله عزّ وجلّ: «افترضتُ على أمّتك خمس صلوات، وعهدتُ عندي عهداً أنّه من حافظ عليهنّ لوقتهنّ أدخلتُه الجنّة، ومن لم يحافظ عليهنّ فلا عهد له عندي»(٤).

---

(١) سنن النسائي، وصححه الألباني، (٣/ ١١٣).

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد، وصححه الألباني في المشكاة (ح ٥٧٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه، وحسنه الألباني (١/ ٤٥٠).

١٠ - سعادة الذين يسعون في حوائج الناس.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كُربة، فرَّج الله عنه كُربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»(١).

١١ - المحافظون على النوافل والرواتب سعداء.

عن محمد بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه لما نزل به الموت أخذه أمرٌ شديد فقال: حدّثتني أختي أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها حرّمه الله تعالى على النّار»(٢).

عن أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حُرِّم على النار»(٣).

١٢ - العافون عن النّاس سعداء يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

---

(١) متفق عليه.

٢() أخرجه النسائي، وصححه الألباني (٣/ ٢٥٦).

٣() صحيح مسلم، (١/ ٢١٧).

عن أنس ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن يُنفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيّره من أيّ الحور شاء»(١).

وعن أبي هريرة ﵁ أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(٢).

١٣- الشهداء والمرابطون سعداء يوم القيامة.

عن المقدام بن معد يكرب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ستّ خصال: يُغفر له في أوّل دفعة، ويُرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه»(٣).

عن أبي الدرداء ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «رباط شهر خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أمِن من الفزع الأكبر، وغدي عليه برزقه، وريح من الجنة، ويجرى عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله»(٤).

١٤- من يسّر على مُعسر أسعده الله يوم القيامة

عن حذيفة ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مات رجل، فقيل له، قال: كنتُ أبايعُ الناس، فأتجوّز عن الموسر، وأخفّف عن المعسر، فغُفر

١() أخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني (٢/ ١٤٠٠).

٢() صحيح مسلم، (٤/ ٢٠٠١).

٣() أخرجه الترمذي، وصححه الألباني، (٤/ ١٨٧).

٤() أخرجه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح٣٤٧٩).

له»[1]. وفي رواية: «أتى الله عزّ وجلّ بعبد من عباده آتاه الله مالا فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ فقال: ما عملت من شيء يا ربّ، إلا أنّك آتيتني مالا فكنتُ أبايع الناس، وكان من خُلُقي أن أيسّر على المُوسر وأُنظر المُعسر. قال الله تعالى: «أنا أحق بذلك منك تجاوزا عن عبدي»[2]. وفي رواية أخرى: «كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسراً قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعلّ الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه»[3].

١٥ - من مات محرماً في الدنيا أسعده الله يوم القيامة.

عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ رجلاً وقصه بعيره ونحن مع النبي ﷺ، وهو محرم، فقال النبي ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفّنوه في ثوبين، ولا تُمسّوه طيبًا، ولا تخمّروا رأسه، فإنّ الله يبعثه يوم القيامة ملبيًا»[4].

١٦ - سعادة المقسطين يوم القيامة.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عزّ وجلّ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[5].

١() متفق عليه.

٢() أخرجه الطبراني، وهو في صحيح الجامع (ح ١٢٥).

٣() صحيح البخاري، (٣/ ٥٨).

٤() متفق عليه، واللفظ للبخاري. ومعنى وقصه أي: كسَر عنقَه فمات. ونسبته للبعير مجاز إن كان مات من الوقعة عنه، وإن أثّر فيه بفعله فحقيقة. (شرح القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢/ ٣٩٠).

٥() صحيح مسلم، (٣/ ١٤٥٨).

١٧- المتحابّون في الله سعداء مُكرمون يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. وقال سبحانه على لسان الكافرين وهم يرون الصالحين يشفعون لأصحابهم: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٩٩ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ٩٩ - ١٠١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله يقول يوم القيامة: أين المتحابّون بجلالي؟ اليوم أظلّهم في ظلّي يوم لا ظلّ إلا ظلّي»[1].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: حقّت محبّتي للمتحابين فيَّ، وحقّت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحقّت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحقَّت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقَّت محبتي للمتباذلين فيَّ. المتحابّون فيَّ على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء»[2].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عزّ وجلّ عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله»، فجثى رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله!

---

(١) صحيح مسلم، (٤/ ١٩٨٨).

(٢) رواه الإمام أحمد والطبراني، وهو في صحيح الجامع، (ح ٤٣٢١).

نـاس مـن النـاس ليسـوا بأنبيـاء ولا شـهداء يغبطهم الأنبيـاء والشـهداء علـى مجالسهم وقـربهم مـن الله أنعـتهم لنـا، جلّهـم لنـا - صـفهم لنـا - فسُـرّ وجـه النبي ﷺ بسؤال الأعرابي فقال رسـول الله ﷺ: «هـم نـاس مـن أفنـاء النـاس ونوازع القبائل، لـم تصل بينهم أرحام متقاربة تحـابّوا في الله وتصـافوا، يضـع الله لهم يوم القيامة منابر مـن نـور، فيجلسـون عليهـا فيجعـل وجـوههم نـوراً وثيابهم نورا يفزع الناس يـوم القيامـة ولا يفزعـون وهـم أوليـاء الله لا خـوف عليهم ولا هم يحزنون »[١].

١٨ - المحسنون إلى الناس سعداء يوم القيامة.

عن أبي هريـرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: "إنّ الله عـز وجـلّ يقـول يوم القيامة: يا بن آدم مرضتُ فلم تعدني. قال: يـا ربّ، كيـف أعـودك وأنـت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّ عبدي فلانـًا مرض فلم تعده؟ أما علمـت أنّك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا بـن آدم اسـتطعمتك فلـم تطعمنـي. قـال: يـا ربّ، وكيف أطعمك وأنت ربّ العالمين؟ قـال: أمـا علمـت أنـه اسـتطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمتـه لوجـدت ذلـك عنـدي؟ يـا بـن آدم استسـقيتك فلـم تسـقني. قـال: يـا ربّ، كيـف أسـقيك وأنـت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه. أما إنّك لـو سـقيته وجـدت ذلك عندي»[٢].

١() رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني في صحيح الترغيب، (ح ٣٠٢٧).

٢() صحيح مسلم، (٤/ ١٩٩٠).

ثانياً: أعمال اقترنت بها شقاوة المجرمين يوم القيامة

أحوال الشقاء والخزي على أرض المحشر وردت مقترنة بانتهاك حرمات الله تعالى، والتفريط في أداء ما افترض من الطاعات، وانتهاك ما حّرم من الذنوب والسيئات، وفيما يلي بيان لجملة من الأعمال التي حذّر الله تعالى منها ورسوله، وتجلب على أصحابها الشقاء والندامة يوم القيامة.

١) المشركون والكفّار مفضوحون يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة:١٦١-١٦٢]. وقال سبحانه: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا﴾[النساء:٤٢]. وقال جلّ شأنه عن مآل المشركين: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ٩٣ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٩١ - ٩٥]. ومعنى كُبكبوا فيها: أي أُلقي بعضهم على بعض في جهنم وكُبّوا فيها على وجوههم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُقال للكافر يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيُقال له: قد سُئلت أيسر من ذلك»[1].

---

(١) متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركتُه وشِرْكه»(١).

٢) المرتدّون عن الإسلام مفضوحون يوم القيامة.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ٢٦ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾[محمد: ٢٥ - ٢٧]. والضرب في هذين المكانين (الوجوه والأدبار) زيادة في إهانة هؤلاء الأشقياء المقبوحين.

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة: ٢١٧].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بينا أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال: هلُمّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى. ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلُمّ، قلت أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»(٢).

---

(١) صحيح مسلم، (٤/ ٢٢٨٩).

٢() أخرجه البخاري، (٨/ ١٢١).

وهمـل الـنعم: مـا يُـترك مهمـلا لا يُتعهّـد ولا يرعـى حتـى يضيع ويهلـك. والمعنى: لا يكاد ينجو من النار من هؤلاء الكفار والعصاة إلا القليل.

٣) المراؤون أشقياء مفضوحون يوم القيامة.

عن طريف أبي تميمة قـال: شـهدت صـفوان وجنـدبـًا وأصـحابه وهـو يوصيهم، فقالوا: هل سمعت مـن رسـول الله ﷺ شيئا؟ قـال سـمعته يقـول: «من سمّع سمّع الله بـه يـوم القيامـة، ومـن شـاقّ شـقّ الله عليـه يـوم القيامـة». فقالوا: أوصنا. فقال: «إنّ أوّل ما يُنتـن من الإنسـان بطنُـه فمـن اسـتطاع أن لا يأكل إلا طيبـًا فليفعل، ومـن استطاع أن لا يُحال بينه وبـين الجنـة بمـلء كفّ من دم أهراقه فليفعل»[1]. وعن عبدالله ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «من سمّع سمّع الله به، ومن راءى راءى الله به»[2].

وعن عقبة بن مسلم أن شفيـًا الأصبحي حدّثه أنه دخل المدينة فإذا هـو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة. فدنوتُ منه حتى قعـدت بـين يديـه، وهـو يحـدّث النـاس، فلمّـا سـكت وخـلا قلـت لـه: أنشـدك بحـق وبحـق لمـا حـدثتني حـديثـًا سـمعته مـن رسـول الله ﷺ عقِلتَـه وعلِمته. فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أفعـل، لأحـدثنك حـديثـًا حدّثَنيـه رسـول الله ﷺ عقلتُـه وعلمتُـه، ثـم نشـغ أبـو هريـرة نشـغة، فمكـث قلـيلاً ثـم أفـاق فقـال: لأحدثنّك حديثا حدّثَنيـه رسـول الله ﷺ في هـذا البيـت، مـا معـه أحـد غيـرى وغيـره، ثـم نشـغ أبـو هريـرة نشـغةً أخـرى ثـم أفـاق فمسـح وجهـه فقـال:

---

[1] () صحيح البخاري، (٩/ ٦٤).

[2] () صحيح مسلم، (٤/ ٢٢٨٩).

لأحدثنّك حديثاً حدّثَنيه رسول الله ﷺ وأنا وهو في هذا البيت، ما معه أحد غيرى وغيره، ثم نشغ أبو هريرة ﷺ نشغةً أخرى ثم أفاق ومسح وجهه فقال: أفعل لأحدثنك حديثاً حدّثَنيه رسول الله ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحد غيرى وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغةً شديدة ثم مال خارّا على وجهه فأسندته عليّ طويلا، ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله ﷺ: «إنّ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكلّ امّة جاثية، فأوّل من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يُقتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلّمك ما أنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى يا ربّ. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن ُيقال إن فلانا قارئ، فقد قيل ذلك. ويُؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسّع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق. فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله تعالى: بل أردت أن يُقال: فلان جواد، فقد قيل ذاك. ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله، فيقول الله له: في ماذا قُتلت؟ فيقول: أُمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قُتلت، فيقول الله تعالى له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جرئ، فقد قيل ذاك. ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعّر بهم النار يوم القيامة»[1].

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني، (الصحيحة ٤/ ٥٩١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن ناتل أهل الشام[١] قال له: أيها الشيخ حدثنا حديثاً سمعتَه من رسول الله ﷺ قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أوّل الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأُتي به فعرّفه نِعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك، حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال: جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النّار، ورجل تعلّم العلم، وعلّمه، وقرأ القرآن فأُتي به فعرّفه نِعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنّك تعلّمت العلم ليُقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كلّه، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحبّ أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنّك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه، ثم ألقي في النار»[٢].

٤) فضيحة من كتم العلم ولم يبلّغه في الدنيا.

قال الله تعالى محذراً علماء بني إسرائيل: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١

(١) ناتل أهل الشام: وفي الرواية ناتل الشامي: هو ناتل بن قيس الحزامي الشامي من أهل فلسطين، وهو تابعي وكان أبوه صحابياً وكان ناتل كبير قومه. (محمد فؤاد عبد الباقي محقق شرح النووي على مسلم، ١٣/ ٥٠).

٢() صحيح مسلم، (٣/ ١٥١٣).

وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٤٠-٤٢].
وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[البقرة: ١٧٤].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سُئل عن علمٍ ثم كتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار»[١]. وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يحفظ علماً فكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار»[٢].

٥) المتكبرون يفضحهم الله تعالى يوم القيامة.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[الزمر: ٧١ - ٧٢].

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشرُ المتكبّرون يوم القيامة أمثال الذّرّ في صور الرجال، يغشاهم الذُّلّ من كل مكان، فيُساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يُسقون من عُصارة أهل النّار، طينة الخبال»[٣].

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني، (٥/ ٢٩).

٢() أخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني، (١/ ٩٦).

٣() أخرجه الترمذي، وصححه الألباني، (٤/ ٦٥٥).

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «إنّ أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك»[1].

٦) من حلف كاذباً ومنع إحسانه فُضِح يوم القيامة.

عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة، لقد أُعطى بها أكثر مما أُعطى وهو كاذب. ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماء، فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك»[2].

٧) فضيحة المُسبل والمنّان وصاحب اليمين الغموس.

عن أبي ذر ﵁ عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم». قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «المُسبل، والمنّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[3].

---

(١) متفق عليه. زاد مسلم في روايته: «لا مالك إلا الله عز وجل». قال الأشعثي: قال سفيان: مثل شاهان شاه، وقال أحمد بن حنبل، سألت أبا عمرو عن أخنع؟ فقال: أوضع. (صحيح مسلم، ٣/ ١٦٨٨).

(٢) متفق عليه.

٣() صحيح مسلم، (١/ ١٠٢).

٨) من أرخى ثوبه خيلاء فضحه الله يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار»[١]. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»، فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنك لست تصنع ذلك خيلاء»[٢].

٩) أهل البدع يفضحهم الله تعالى يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ترد عليّ أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله». قالوا: يا نبي الله، أتعرفنا؟ قال: «نعم، لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون عليّ غراً محجّلين من آثار الوضوء. ولُيَصدَّنَّ عني طائفة منكم فلا يصلون، فأقول: يا ربّ هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملَك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟»[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً بموعظة فقال: «يا أيها الناس إنكم تُحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾. ألا وإنّ أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام، ألا وإنّه سيُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم

١() صحيح البخاري، (٧/ ١٤١).

٢() صحيح البخاري، (٥/ ٦).

٣() صحيح مسلم، (١/ ٢١٧).

ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. قال: فيُقال لي: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتَهم»[1].

١٠) فضيحة القاتل يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٩٣].

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استطاع منكم ألا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم امرىء مسلم أن يهريقه كما يذبح به دجاجة، كلما تعرّض لباب من أبواب الجنّة حال الله بينه وبينه ومن استطاع منكم ألا يجعل في بطنه إلا طيبا فليفعل فإنّ أول ما يُنتن من الإنسانِ بطنُه»[2]. وعن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوّلُ ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»[3].

وعن بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دمًا يقول: يا ربّ هذا قتلني، حتى يُدنيه من العرش. قال فذكروا لابن عباس التوبة فتلا هذه الآية:

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الطبراني، وهو في السلسلة الصحيحة (٣٣٧٩).

(٣) صحيح مسلم، (٣/ ١٣٠٤).

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾، قال: وما نُسِخَتْ هذه الآية ولا بُدّلَت. وأنّى له التوبة؟[1].

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «يأتي المقتول متعلّقا رأسه بإحدى يديه، ملببًّا قاتله باليد الأخرى، تشخُب أوداجُه دما حتى يأتي به العرش، فيقول المقتول لربّ العالمين: هذا قتلني. فيقول الله للقاتل: تعستَ، ويُذهَبُ به إلى النّار»[2].

١١) المنافقون يفضحهم الله تعالى يوم القيامة.

قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوْلَىٰكُمْۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الحديد: ١٢ – ١٥].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحداً»[3].

١() أخرجه الترمذي عن أبي هريرة، وصححه الألباني، (٤/ ٥٥٣).

٢() أخرجه الترمذي، والطبراني في الأوسط، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (ح ٢٤٤٧).

٣() صحيح البخاري، (٦/ ١٥٩).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في حديثه الطويل وفيه قال: «ثم تقوم الساعة على شرار الناس. ثم يقوم المَلك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه. والصور قرنٌ، فلا يبقى خلق في السماوات والأرض إلا مات، إلا من شاء ربك. ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، فليس من بني آدم خَلقٌ إلا منه شيء، قال: فيُرسلُ الله ماءً من تحت العرش كمنيّ الرجال، فتَنبت لُحمانهم وجثمانهم من ذلك الماء، كما ينبت الأرض من الثرى، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[فاطر: ٩]. قال: ثم يقوم مَلك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، فتنطلق كل نفس إلى جسَدها حتى تدخل فيه، ثم يقومون فيحيون حياة رجل واحد، قياماً لرب العالمين. قال: ثم يتمثّل الله تعالى إلى الخلق فيلقاهم، فليس أحدٌ يَعبد من دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه. قال: فيلقى اليهودُ، فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد عزيراً. قال: هل يسرّكم الماء؟ فيقولون: نعم، إذ يريهم جهنم كهيئة السراب. قال: ثم قرأ عبد الله: ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا﴾. قال: ثم يلقى النصارى فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: المسيح. فيقول: هل يسرّكم الماء؟ فيقولون: نعم. قال: فيريهم جهنم كهيئة السراب، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئًا. قال: ثم قرأ عبد الله: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾. قال: ثم يتمثّل الله تعالى للخلق، حتى يمرّ على المسلمين، فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله ولا نشرك به شيئا. فينتهرهم مرتين أو ثلاثًا، فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله ولا نشرك به شيئًا. فيقول: هل تعرفون ربكم؟ فيقولون: سبحانه إذا اعترف لنا عرفناه. قال: فعند ذلك

يُكشف عن ساق، فلا يبقى مؤمن إلا خرّ لله ساجداً، ويبقى المنافقون ظهورهم طبقاً واحداً، كأنما فيها السفافيد. فيقولون: ربنا، فيقول: قد كنتم تُدعون إلى السجود وأنتم سالمون، قال: ثم يأمر بالصراط فيُضرب على جهنّم، فيمرّ الناس كقدر أعمالهم زمراً، كلمح البرق، ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطير، ثم كأسرع البهائم، ثم كذلك، حتى يمرّ الرجل سعياً، ثم مشياً، ثم يكون آخرهم رجلاً يتلبّط على بطنه، فيقول: أي ربّ لماذا أبطأت بي؟ فيقول: لم أُبطأ بك، إنما أبطأ بك عملك»[1].

١٢) فضيحة آكل الربا يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٢٧٥]. وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٨].

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: يُقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب وقرأ: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ

١() أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني والحاكم (٤/ ٥٤١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه

﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[1]. قال العيني: وذلك حين يقوم من قبره[2].

١٣) من لم يعدل بين زوجاته يفضحه الله يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[غافر: ١٧]. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كانت له امرأتان فمال إلا إحداهما جاء يوم القيامة وشقّه مائل»[3].

١٤) فضيحة الذين يسألون الناس في الدنيا.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع أباه يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُزعة لحم»[4]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل وله ما يُغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً أو خموشاً أو كدوحاً في وجهه»، قيل: يا رسول الله وما يغنيه؟ قال: «خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب»[5].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، (٢/ ٥٥٠).

(٢) عمدة القاري للعيني، (ج٤/ ص٢٣٢).

٣() أخرجه أبو داود، وصححه الألباني (٢/ ٢٤٢).

٤() صحيح مسلم، (٢/ ٧٢٠).

٥() أخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني (١/ ٥٨٩).

وعـن أبـي هريـرة ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: « مـن سـأل النـاس أموالهم تكثّرا فإنما يسأل جمراً، فليستقل أو ليستكثر»[١].

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لـيس المسكين بهـذا الطـواف الـذي يطوف على الناس، فترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان». قـالوا، فمـا المسكين يـا رسـول الله؟ قـال: «الـذي لا يجـد غنـى يغنيـه، ولا يفطـن لـه، فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئـًا»[٢].

وعـن الزبيـر بـن العـوام ﷺ عـن النبـي ﷺ قـال: «لأن يأخـذ أحـدكم أحبُلاً، فيأخـذ حزمـة مـن حطـب، فيبيـع، فيكـفّ الله بـه وجهـه، خيـر مـن أن يسأل الناس، أعطي أم مُنع»[٣].

١٥) فضيحة البخيل والمبايع إمامه من أجل الدنيا.

عـن أبـي هريـرة ﷺ عـن النبـي ﷺ قـال: «ثلاثـة لا يكلّمهـم الله يـوم القيامة، ولا ينظر إليهم: رجـل حلـف علـى سـلعة، لقـد أُعطـى بهـا أكثـر ممـا أُعطى وهو كاذب. ورجل حلـف علـى يمـين كاذبـة بعـد العصـر ليقتطـع بهـا مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماء، فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كمـا منعت فضل ما لـم تعمل يداك»[٤].

١() صحيح مسلم، (٢/ ٧١٩).

٢() متفق عليه.

٣() صحيح البخاري، (٣/ ١١٣).

(٤) متفق عليه.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل كان له فضل ماء بالطريق، فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إماماً لا يُبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا، فصدقه رجل» ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٧٧]»[1].

١٦) فضيحة مانع الزكاة يوم القيامة.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[آل عمران: ١٨٠].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقّها، إلا جاءت يوم القيامة أكثرَ ما كانت قط، وقُعِد لها بقاع قرقر تستنّ عليه بقوائمها وأخفافها، ولا صاحب بقر، لا يفعل فيها حقّها، إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت، وقُعد لها بقاعٍ قرقر تنطحه بقرونها، وتطؤه بقوائمها، ولا صاحب غنم، لا يفعل فيها حقّها، إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت، وقُعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، ليس فيها جمّاء - أي: لا قرن لها - ولا منكسر قرنها، ولا

(١) صحيح البخاري، (٣/ ١١٠).

صاحب كنز لا يفعل فيه حقّه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعًا أقرع، يتبعه فاتحًا فاه، فإذا أتاه فرّ منه، فيناديه: خذ كنزك الذي خبّأته، فأنا عنه غني، فإذا رأى أن لا بد منه، سلك يده في فيه، فيقضمها قضم الفحل». وقال أبو الزبير: سمعت عبيد بن عمير يقول: قال رجل: يا رسول الله، ما حقّ الإبل؟ قال: «حلبُها على الماء، وإعارة دلوها، وإعارة فحلها، ومنيحتها وحملٌ عليها في سبيل الله»(١).

١٧) الأكثرون المانعون هم الخاسرون يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾[هود: ١٥].

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرجتُ ليلة من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده، ليس معه إنسان، قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أمشي في ظلّ القمر، فالتفت فرآني، فقال: «من هذا؟» فقلت: أبو ذر، جعلني الله فداءك، قال: «يا أبا ذر، تعاله» قال: فمشيت معه ساعة، فقال: «إن المكثرين هم المقلّون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله خيراً، فنفح فيه يمينه وشماله، وبين يديه ووراءه، وعمل فيه خيراً». قال: فمشيت معه ساعة فقال: «اجلس ها هنا» قال: فأجلسني في قاع حوله حجارة، فقال لي: «اجلس ها هنا حتى أرجع إليك» قال: فانطلق في الحرّة حتى لا أراه، فلبث عني، فأطال اللبث، ثم إني سمعته وهو مقبل وهو يقول: «وإن سرق وإن

---

(١) صحيح مسلم، (٢/ ٦٨٤).

زنى» قال: فلما جاء لم أصبر فقلت: يا نبي الله، جعلني الله فداءك، من تكلم في جانب الحرة؟ ما سمعت أحداً يرجع إليك شيئًا، قال: «ذاك جبريل عرض لي في جانب الحرّة، فقال: بشر أمّتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئًا، دخل الجنة، فقلت: يا جبريل، وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، قال قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، قال قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر»(١).

١٨) من اقتطع أرض غيره فضحه الله يوم القيامة.

عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ﵁ أن أروى خاصمته في بعض داره، فقال: دعوني وإياها فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبراً من الأرض بغير حقّه طوّقه في سبع أرضين يوم القيامة». اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها، واجعل قبرها في دارها. قال الراوي: فرأيتها عمياء تلتمس الجدُر، تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد، فبينما هي تمشي في الدار مرّت على بئر في الدار فوقعت فيها فكانت قبرها(٢).

وعن أبي سلمة أنه كانت بينه وبين أناس خصومة فذكر لعائشة ﵄ فقالت: يا أبا سلمة اجتنب الأرض، فإن النبي ﷺ قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين»(٣). وعند البخاري عن سالم، عن أبيه ﵁

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح مسلم، (٣/ ١٢٣٠).

(٣) متفق عليه.

قال: قال النبي ﷺ: «من أخذ من الأرض شيئًا بغير حقه خُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»[١].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ رجلاً أتاه فقال: ما كان النبي ﷺ يُسِرّ إليك؟ فغضب وقال: ما كان النبي ﷺ يُسِرّ إليّ شيئا يكتمه. إنه قد حدّثني بكلمات أربع، فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: قال ﷺ: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثا، ولعن الله من غيّر منار الأرض»[٢].

١٩) فضيحة من ولي أمراً للمسلمين ثم احتجب عنهم.

عن أبي مريم الأزدي رضي الله عنه قال: دخلتُ على معاوية رضي الله عنه فقال ما أنعمنا بك أبا فلان[٣]! وهي كلمة تقولها العرب فقلت: حديثًا سمعتُه أُخبِرك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولي من أمور المسلمين شيئًا فاحتجب دون خلّتهم وحاجتهم وفقرهم وفاقتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة دون خُلّته وحاجته وفاقته وفقره»، قال فجعل رجلا على حوائج الناس[٤].

---

(١) صحيح البخاري، (٣/ ١٣٠).

(٢) صحيح مسلم، (٣/ ١٥٦٧).

٣() ما أنعمنا بك: صيغة تعجب والمقصود إظهار الفرح والسرور بقدومه، أي ما الذي أنعمك إلينا وأقدمك علينا؟ يقال ذلك لمن يُفرح بلقائه أي: ما الذي أفرحنا وأسرنا وأقرأ عيننا بلقائك ورؤيتك! (عون المعبود، ٨/ ١١٧).

٤() أخرجه أبو داود، وصححه الألباني (٣/ ١٣٥).

٢٠) الصحبة لغير الله تعالى حسرة وندامة يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]. وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٍ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضًا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[العنكبوت: ٢٥].

عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، قال: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فتوفي أحد المؤمنين وبُشّر بالجنة فذكر خليله فقال: اللهم إن فلاناً خليلي كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر وينبئني أني ملاقيك، اللهم فلا تُضله بعدي حتى تُريَه مثل ما أريتني، وترضى عنه كما رضيت عني. فيقال له: اذهب فلو تعلم ماله عندي لضحكت كثيراً وبكيت قليلاً. قال: ثم يموت الآخر فتجتمع أرواحهما، فيقال: ليُثن أحدكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: نعم الأخ، ونعم الصاحب، ونعم الخليل. وإذا مات أحد الكافرين وبُشّر بالنار ذكر خليله فيقول: اللهم إنّ خليلي فلاناً كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويأمرني بالشرّ وينهاني عن الخير، ويخبرني بأني غير ملاقيك. اللهم فلا تهده بعدي حتى تُريَه مثل ما أريتني، وتسخط عليه كما سخطت عليّ. قال: فيموت الكافر الآخر فيجمع بين أرواحهما فيقال: ليُثن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول كل واحد

منهما لصاحبه: بئس الأخ، وبئس الصاحب، وبئس الخليل[١]. وقال ابن عباس رضي الله عنه: صارت كل خُلّة عدواة يوم القيامة إلا المتقين[٢].

٢١) فضيحة الزناة والكذابون والمستكبرون يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملكٌ كذّاب، وعائل مستكبر»[٣].

٢٢) أهل الغُلول مفضوحون يوم القيامة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغُلول، فعظَّمه وعظَّم أمره، ثم قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، (١٠/ ٣٢٨٥)، تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير، (ج٤/ ص١٣٥).

(٣) أخرجه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح ٣٠٦٩).

أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك»(١).

٢٣) إهانة من بصق قِبل وجهه في الصلاة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى نُخامة في قبلة المسجد فحكّها أو قال فحتّها بيده، ثم أقبل على الناس فتغيّظ عليهم، وقال: «إنّ الله عز وجل قِبل وجه أحدكم في صلاته، فلا ينتخمنّ أحد قِبل وجهه في صلاته»(٢).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بن عينيه»(٣).

٢٤) المصوّر لمضاهاة خلق الله مفضوح يوم القيامة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من تحلّم بحلم لم يره كُلّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل. ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرّون منه، صُبّ في أذنه الآنك يوم القيامة. ومن صوّر صورة

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح ابن خزيمة، (٢/ ٦٢).

٣() أخرجه أبو داود، وصححه الألباني (٣/ ٣٦٠).

عُذّب وكُلّف أن ينفخ فيها وليس بنافخ»[1]. والآنك: خالص الرصاص، ويقال: بل جنس منه[2].

عن عبد الله ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون»[3].

وجاء رجل إلى بن عباس ﵁ فقال: إنّي رجل أصوّر هذه الصور فأفتني فيها. فقال له: ادن مني فدنا منه، ثم قال: ادن مني فدنا، حتى وضع يده على رأسه قال: أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصوّر في النار، يُجعل له بكل صورة صوّرها نفسا فتعذّبه في جهنم». وقال: إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له[4].

وعن عبد الله بن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الذين يصنعون هذه الصور يُعذّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»[5].

وعن أبي زُرعة قال: دخلت مع أبي هريرة داراً بالمدينة فرأى أعلاها مصوراً يصوّر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبّة وليخلقوا ذرة»[6].

١() صحيح البخاري، (٩/ ٤٣).

٢() مقاييس اللغة، (١/ ١٤٩).

(٣) متفق عليه.

(٤) صحيح مسلم، (٣/ ١٦٧٠).

(٥) صحيح البخاري، (٧/ ١٦٧).

(٦) صحيح البخاري (٧/ ١٦٨).

٢٥) فضيحة الغادر يوم القيامة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يُرفع لكلّ غادر لواءً، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان»[١].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لكلّ غادر لواء عند استه يوم القيامة»[٢]. أي: عند مؤخّرته.

٢٦) فضيحة القاذف الذي لم يُقتص منه في الدنيا.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣ – ٢٤].

١() صحيح مسلم، (٣/ ١٣٥٩).

٢() صحيح مسلم (٣/ ١٣٦١). قال بن حجر رحمه الله: قال بن المنيّر كأنّه عومل بنقيض قصده لأن عادة اللواء أن يكون على الرأس فنُصب عند السُفل زيادة في فضيحته لأنّ الأعين غالباً تمتد إلى الألوية فيكون ذلك سبباً لامتدادها إلى التي بدت له ذلك اليوم، فيزداد بها فضيحة، وقوله صلى الله عليه وسلم «ينصب يوم القيامة بغدرته» أي بقدر غدرته كما في رواية مسلم، قال القرطبي هذا خطاب منه للعرب بنحو ما كانت تفعل لأنهم كانوا يرفعون للوفاء راية بيضاء وللغدر راية سوداء ليلوموا الغادر ويذمّوه فاقتضى الحديث وقوع مثل ذلك للغادر ليشتهر بصفته في القيامة فيذمّه أهل الموقف، وأمّا الوفاء فلم يرد فيه شيء ولا يبعد أن يقع كذلك وقد ثبت لواء الحمد لنبينا صلى الله عليه وسلم. (فتح الباري لابن حجر، ٦/ ٢٨٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جُلد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال»[١]. وفي رواية مسلم: «يُقام عليه الحد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال»[٢].

٢٧) شقاء من استمع حديث قوم وهم له كارهون.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من تحلّم بحلم لم يره كُلّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل. ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرّون منه، صُبّ في أذنه الآنك يوم القيامة. ومن صوّر صورة عُذّب وكُلّف أن ينفخ فيها وليس بنافخ»[٣]. والآنك: خالص الرصاص، ويقال: بل جنس منه[٤].

وعن بن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صور صورة عذّبه الله بها يوم القيامة حتي ينفخ فيها وليس بنافخ. ومن تحلّم كُلِّف أن يعقد شعيرة. ومن استمع إلى حديث قوم يفرون به منه صُبّ في أذنه الآنك يوم القيامة»[٥].

١() متفق عليه.

٢() صحيح مسلم، (٣/ ١٢٨٢).

٣() صحيح البخاري، (٩/ ٤٣).

٤() مقاييس اللغة، (١/ ١٤٩).

٥() أخرجه أبو داود، وصححه الألباني (٤/ ٣٠٦).

٢٨) الفاحش البذيء مفضوح يوم القيامة.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ائذنوا له، بئس أخو العشيرة، أو ابن العشيرة» فلما دخل ألان له الكلام، قلت: يا رسول الله، قلت الذي قلت، ثم ألنت له الكلام؟ قال: «أي عائشة، إنّ شرّ الناس من تركه الناس، أو ودعه الناس، اتقاء فحشه»[١].

٢٩) ذو الوجهين مفضوح ومهان يوم القيامة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن شر الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»[٢].

عن عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»[٣].

٣٠) تضييع الأمانة خزي وندامة يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[النساء: ٥٨].

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنّها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها»[٤].

---

(١) متفق عليه.

٢() متفق عليه.

٣() أخرجه أبو داود، وصححه الألباني (٤/ ٢٦٨).

(٤) صحيح مسلم، (٣/ ١٤٥٧).

وعن ابن مسعود ﵁ قال: القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلّها إلا الأمانة، ثم قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قُتل في سبيل الله فيقال: أدّ أمانتك فيقول: أي ربّ كيف وقد ذهبت الدنيا؟ قال: فيُقال انطلقوا به إلى الهاوية فينُطلق به إلى الهاوية وتُمثّل له أمانته كهيئتها يوم دُفِعت إليه، فيراها فيعرفها فيهوي في أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى إذا نظر ظنّ أنه خارج زلّت عن منكبيه فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عدّها، وأشدّ ذلك الودائع[1].

p p p

---

(١) صحيح مسلم، (٣/ ١٤٥٧).

المراجع

القرآن الكريم:

١ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ.

٢ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مكتبة بن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ.

٣ - أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٤ - التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

٥ - الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٦ - تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير القرشي، دار الحديث، القاهرة، ط٦، ١٤١٦هـ.

٧ - تفسير القرآن العظيم، محمد بن عبد الرحمن التميمي الرازي، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

٨ - التوهم في وصف أحوال الآخرة، الحارث بن أسد المحاسبي، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، حلب.

٩ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

١٠ - الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، دار اليمامة للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٧هـ.

١١ - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، ط ٢.

١٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

١٤ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، صححه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٥ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، صحّحه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ

١٦ - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، صححه الألباني، المكتب الإسلامي، ط ١٤١٧هـ.

١٧ - سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله يماني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ.

١٨ - السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١٣٤٤،١هـ.

١٩ - سنن النسائي، محي الدين يحيى بن شرف النسائي، دار اليمامة للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٧هـ.

٢٠ - السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.

٢١ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، إدارات البحوث العلمية، الرياض، ١٤٠٠هـ.

٢٢ - صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢٣ - صحيح بن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٣٩٠هـ.

٢٤ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٥ - عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٢٦ - العاقبة في ذكر الموت، عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي، تحقيق: خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

٢٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٨ - القيامة الكبرى، عمر بن سليمان الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: السادسة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٢٩ - كنز العمال، علاء الّدين الهندي، تحقيق محمود الدمياطي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٠ - لسان العرب، محمد بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١.

٣١ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان بن محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ

٣٢ - المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبداللّه أبو عبداللّه النيسابوري، الحاكم تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،١٤١١هـ.

٣٣- المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.

٣٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٥- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر - بيروت.

٣٦- المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد، إحياء التراث الإسلامي، ط ١، ١٣٩٧هـ.

٣٧- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٩- النهاية في الفتن والملاحم، إسماعيل بن كثير القرشي، المحقق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.

p p p

كتب مطبوعة للمؤلف

١ - الشيشان، صقور الجبال البيضاء.

٢ - أوراق الحب العامر.

٣ - قراءات دعوية في كتب الإدارة المعرّبة الغربية. (تربية العظماء ١).

٤ - (ورفعنا لك ذكرك).. سلسلة قصصية في السيرة النبوية.

٥ - المدينة المحاصرة: إدارة الأزمات في ضوء غزوة الأحزاب. (تربية العظماء ٢).

٦ - أحقاً هذه الجنة؟

٧ - زاد الجندي المسلم.

٨ - مقامات الإيمان.

٩ - الرحلة الأخيرة. (بين يديك).

p p p

كتب مطبوعة للمؤلف

١. الشيشان، صقور الجبال البيضاء.

٢. أوراق الحب العامر.

٣. قراءات دعوية في كتب الإدارة المعرّبة الغربية.

٤. السراج المنير: سلسلة قصصية في السيرة النبوية المكيّة.

٥. المدينة المحاصرة: فنّ إدارة الأزمات في ضوء غزوة الأحزاب.

٦. أحقاً هذه الجنة؟

٧. زاد الجندي المسلم.

٨. مقامات الإيمان.

٩. الرحلة الأخيرة. (بين يديك)

١٠. العقوبات والآيات والسنن: ١١١ قاعدة لفهمها والتعامل معها.

في هذا الكتاب

العجب كل العجب من مسافر يشتد حرصه على السـؤال عن رحلته القصيـرة: موعدها، وتذكرتها، وعدد ركابها، ويسـأل عن جهة الوصـول: لغتها، وسكانها وتضاريسـها، ودرجة حرارتها، ويخطّط لتلك الرحلة، فيعدّ لها نفقاتها، وينظـم تنقلاتها، ثم تجده في المقابل غـافلاً عن رحلتـه الطـويلة، وجـاهلاً بوجهتـه الأخيـرة، رغم ما يحـفّ بها من الأخطـار، ويكتنفـها من الشـدائد والأهـوال.

إنهاالرحلة إلى الدار الآخرة، التي تُبدّل فيها: (الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّـمَاوَاتُ)، وتُجزى: (كُل نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)ويُحشـر الناس من قبـورهم كيوم ولدتهم أمهاتهـم، وتجتمع الخـلائق كلها لفصل القضاء، والمجازاة على الأعمال، فيجتمع العصاة والأبرار، والمتقون والفجار، ويظهر الفرق جلياً بين السعداء الأشقياء، ويتمايز المسلمون والمجرمـون، والعصاة والصالحون، على أحـوال ومواقـف لا حصر لها.